سلسلة المقالات الساخرة

(سياسية - اجتماعية)

اعداد وتنسيق / *Rajol* & *Amly*



إهداء

- الى كل من تمثَّل يوما أول ما نزل من الوحي..(إقرأ).
- إلى تلك الفئة من الغرباء النبلاء الطامحين إلى وجود أرقى وأجمل.
- إلى كل من يظن أن البسمة صارت أغلى من أن تُرجى .
- إلى كل من وقعت القراءة يوما موقع هوى في نفسه .
- إليك وحدك أيها القارئ .. أعنيك بذاتك !



Amly & Rajol

المقدمة

السخرية موضوعنا والسخرية كما عرفها الدكتور شوقي ضيف هي أرقى أنواع الفكاهة ، لما تحتاج من ذكاء وخفاء ومكر ، وهى لذلك أداة دقيقة في أيدي الفلاسفة والكتاب الذين يهزأون بالعقائد والخرافات . ويستخدمها الساسة للنكاية بخصومهم وهى حينئذ تكون تهكمًا أو تقريعًا خالصًا . وقد تستخدم في رقة استخدامًا لاذعًا إذ يلمس صاحبها شخصًا لمسًا رقيقًا.[1]

ولما كانت الكتابة الساخرة تسمح بنوع من الترخص اللغوي واللفظي ، لأنها موجهة لعامة الناس .. فهي لذلك قد تهوي بالكاتب الى مزيد من الترخص فيتحول الأمر الى ابتذال بحت ، وأثناء اعدادنا لهذا الكتاب واجهنا ما هو أشد من ذلك مما يصل الى درجة الانحطاط ، لذلك قمنا باستبعاد

(١)الفكاهة في مصر .. د/شوقي ضيف .

المقالات السوقية التي هي أقرب الى السباب ، وكذلك المقالات التي يعتمد أصحابها على التطرف المبالغ فيه .

ووضعنا نصب أعيننا شعارا هو : "السخرية ليست هزلا" ، وانطلقنا منه في جمع مقالات ذات جوهر ، تحوي مضمونا ليست مجرد عبث أجوف هدفه الضحك وفقط .. فالكتابة الساخرة من وجهة نظرنا لا بد أن تحترم عقل القارئ فوق كونها تطرح قضية ..

يتميز هذا اللون كذلك بأنه يحتاج الى سرعة بديهة تمكن القارئ من التقاط الخيط من بداية المقال حتى تتبلور في ذهنه الافكار التي يطرحها الكاتب ، فغني عن الذكر أن الكتابة الساخرة خاصة تلك التي تتناول موضوعا سياسيا أو اجتماعيا شائكا تميل الى التلميح دون التصريح ، ولعل في ذلك متعة أيضا للقارئ .

فكرتنا قامت على جمع المقالات التي ارتأيناها مهمة وتنسيقها بصورة أفضل جاذبة للقراءة .. وطرحها مجتمعة حتى يسهل الوصول إليها ، وحتى لايضيع أى منها ، ولا

نزال نذكركم بأن الفكرة قابلة للمراجعة والتطوير ، وأى اقتراح نرحب به طالما أنه سيرفع من قيمة العمل ... وكتابنا بلا خاتمة أو صفحة غلاف خارجية .. لأننا نطمع بدعمكم وتشجيعكم لنا في الاستمرار في جمع المزيد من المقالات ، والتوسع في الامر لتغطية أكبر قدر من الكتاب الساخرين .. وكذلك تقييم الأفضل منهم .

مائدتنا دسمة غنية ، حوت عددا من الكتاب المعاصرين لا غبار عليهم ، اتفقنا جميعا على نزاهة معظمهم ، تضم موسوعتنا اذن .. كلا من :

د/أحمد خالد توفيق

ا/يوسف معاطي

السيناريست/ بلال فضل

ا/أحمد بهجت

ا/أسامة غريب

الشاعر/أحمد فؤاد نجم

الصحفي / إبراهيم عيسى

الكاتب الشاب/ عمر طاهر

وغيرهم من رواد الصحافة والكتابة الساخرة .. وقد أضفنا نوعا من الاستفتاء نرجو أن تشاركونا فيه ، نريد أن نعرف من هو أفضل كاتب مصري ساخر، وكذلك أفضل مقال خاصة وأن هذه المقالات معاصرة كتب أغلبها في الفترة ما بين (٢٠٠٥/٢٠٠٨).. صوتك يهمنا !

الهدف من ذلك أن نهدي كلمة شكر لمن ساهم في نقد شيء داخلنا مع رسم البسمة على شفاهنا ، هي رسالة سامية حقا تظهر إذا ما قورنت بالنقد الهدام .

نتمنى من الله أن نكون قد وفقنا في تقديم شيء مسل هادف ، وإن اعتراه نقص فنحن على يقين بأن الكمال لا ينبغي لمخلوق ، فإن أعجبكم ما قدمنا فتكفينا دعوة بظهر الغيب ، وإن لم يعجبكم فشيمة الكرام ستر العيب... ولسان حالنا ينطق بقول العماد الأصبهاني : "إني رأيت أنه لا يكتب إنسانا كتابا في يومه إلا قال في غده : لو غُير هذا لكان

أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قُدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجل ، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جلة البشر".

Amly & Rajol

Dec , 2008



تعريف بالكاتب :



كاتب صحفي .. من أعماله :

مدينة الذقون الكبيرة

مصر ليست أمي .. دي مرات أبويا

والكتاب الاخير بالذات نال شهرة واسعة وانتشر انتشارا كبيرا في مصر ، جدير بالذكر أن هذا الكتاب قد نفذت طبعاته الخمس الاولى في خمسة أشهر فقط .

مشاكسات مع فريدة الشوباشي

تعودت كل خميس أن أتلقي مكالمة ودودة من الصديقة الكاتبة فريدة الشوباشي تعلق فيها علي مقالي بـ «المصري اليوم»، لكن مكالمة الخميس الماضي علي غير العادة كانت غاضبة، تهدر بانفعال حقيقي وعتاب حاد ضد ما كتبته وتناولت فيه حكايتي مع الأغاني الوطنية منذ الستينيات.

قالت فريدة إنها لم تكن تتوقع مني أنا بالذات أن أكتب علي هذا النحو رابطاً بين أغاني الثورة و بين هزيمة ٦٧، وأضافت أنها تخشي أنّ من يأخذون موقفاً معادياً من العدالة الاجتماعية والتحرر والوحدة ومجانية التعليم وحق المصريين في العمل والمسكن والعلاج ربما يتخذون مما كتبته تكأة لزيادة معدل الفجور في حملتهم المستمرة ضد الإنسان المصري، وأردفت الشوباشي أن الأمم جميعا

معرضة للنصر والهزيمة، وأن الأيام كانت دائما «دولاً» فلا أحد ينتصر علي طول الخط ولا أحد يعيش مهزوماً للأبد.. فلماذا لا نريد أن نبرح هزيمة ٦٧ ونتجاوزها، ولماذا نظل نبكي علي أطلالها طوال العمر؟.

وفي الحقيقة لا يسعني سوي أن أعترف أن بي ضعفاً تجاه فريدة الشوباشي، ذلك أن صدق وطنيتها ورفضها للزيف وغيرتها علي مصر تجعلني لا أتمني أن أُغضبها أو أقف منها موقف المخالف، خاصة أن بيننا مساحة كبيرة من الاتفاق جعلت منا أصدقاء من قبل أن نلتقي.

وأود أن أوضح أن هذه الجزئية من المقال التي أغضبت الأستاذة فريدة لم أقصد منها إدانة المرحلة الناصرية، رغم أن بها ما يستحق الإدانة، ولا قصدت منها أن ألعن المسؤولين عن الهزيمة رغم أنهم حرقوا قلوبنا، ورغم إيماني أن الخراب الحالي الذي نعيشه قد غُرست بذرته يوم هُزمنا ١٠٠: صفر في مباراة من جانب واحد، الأمر الذي جعل أقصي أمانينا في الجولة التالية هي التعادل

الإيجابي وهو ما تحقق في أكتوبر، إلا أنني لم أقصد التطرق إلي أي من هذا، كل ما في الأمر أنني سردت تجربة شخصية وكنت بحق أتحدث عن نفسي..

أنا بالفعل مصاب بأرتكاريا من الأغاني الوطنية، وهي مرتبطة في ذهني بالغارات وصوت زمارة الخطر والنوافذ المدهونة أزرق والسواتر الأسمنتية أمام البنايات، سيقول قائل: إنها معركة فرضت علينا ولم نخترها، ولم تحدث بسبب تهور القيادة السياسية كما يردد أصدقاء إسرائيل، وإنما كان العدوان مقدراً في كل الأحوال ما دمنا اخترنا طريق الاستقلال والتنمية.. وأقول: أنا موافق علي كل هذا وأزيد عليه أن العدوان ما كان في الإمكان تحاشيه، إلا إذا استسلمنا.. لكن كل هذا لا يهدئ من الهواجس التي صاحبتني منذ الطفولة من الأغاني الوطنية.

وأود بهذه المناسبة أن أتناول حجم القيود التي يفرضها علي نفسه من يتصدي للكتابة وتجعله يتجنب بعض الموضوعات لأسباب مختلفة، ومن أهم هذه الأسباب فساد

نظام الحكم الحالي علي نحو يهون معه أي فساد، وتفريط الحكم الحالي بشكل لا يمكن مقارنته بأي تفريط..

وعلي سبيل المثال فإن صدمة فريدة الشوباشي في مقالي السابق سببها أنني تحرجت دوماً من تناول أخطاء المرحلة الناصرية حتي لا يكون ما أكتبه ذخيرة في مدافع أحباب إسرائيل المؤيدين لبيع الوطن وإلغاء مجانية التعليم وسلخ مصر عن محيطها العربي، و منعني الحياء من الحديث عن زوار الفجر ومحاكمة المدنيين أمام المحاكم العسكرية والتعذيب في السجون في العهد الناصري حتي لا أقف مع حزب إسرائيل المصري الذي يتناول كل هذا بينما يغفل أن أكثر منه بمراحل يحدث الآن علي يد حكومة الحزب الوطني، مع اختفاء مزايا الستينيات وأهمها الحق في التعليم والعمل والمسكن والعلاج.

لهذا أيضا ليس من المروءة أن أسمح لنفسي بمهاجمة الإخوان مهما بلغ حجم اختلافي مع منطلقاتهم وأفكارهم بينما يتعرضون للاعتقال والمصادرة ويتلقون

الضربات من الأجهزة الأمنية والأجهزة الإعلامية ولا يسمح لهم بالدفاع عن أنفسهم مع استمرار تعرضهم للنهش من أشاوس ماسبيرو في حالة حوار وحالات أخري!.

كذلك أحجمت عن الكتابة عن تجربة محمد علي في بناء الدولة الحديثة رغم أهميتها وتحرجت أن أنتقد التجربة وأقول إن الاستعمار هو الذي رفعه ليهدم الدولة العثمانية ثم سهل عليهم بعد ذلك إسقاطه من هذا العلو، وكان إحجامي سببه أننا نعيش في عصر الهدم والبيع والتفريط، فهل يجوز أن أتناول بالنقد من قام بالبناء مهما كان السياق والأسباب!.

وأيضاً الخشية من بطش الرأي العام جعلتني أكظم غيظي وأخفي رأيي عن عشاق فن نجيب الريحاني الذي أراه من أثقل الممثلين ظلاً في حين كان أنور وجدي وشرفنطح وعبدالفتاح القصري هم المضحكون الحقيقيون في أفلامه، ومنعني نفس الخوف من إعلان رأيي الحقيقي في فريد الأطرش الذي مارس البكاء والنواح لمدة خمسين سنة دون

أن يفطن الناس إلي أنه يقلد مطربا آخر بشكل كاريكاتوري وترك الناس يعتقدون أنه يغني «بجد».

فماذا بقي بعد هذا يا أستاذة فريدة لأتكلم فيه بعد أن أوصدت بنفسي أبواباً للسياسة والثقافة والفن؟ ومع هذا فلتسامحيني علي أنني تسببت دون قصد في إغضابك، مع وعد بأنه بعد كشف الغُمة وانزياح الكابوس سأؤلف كتابا عن أخطاء العهد الناصري وسيكون إثارة غضبك وقتها مع سبق الإصرار والترصد!

كلمة أخيرة:

يبدو أن عدوان كلاب سمو الأمير علي الأطفال المصريين لن يتوقف، الأمر الذي يدفع للظن أن سموه قد قام بضبط مصر متلبسة بالفعل الفاضح، أو قام بتصويرها وهي عريانة، مما كسر عينها أمامه وجعلها خاضعة ذليلة في مواجهته هو وأسرته وكلابه!.

نهي الزيني و.. البكتريا القاتلة للضمير

ضربة معلم، ليس هناك تعبير أدق يستطيع وصف ما حدث، فشهادة المستشارة نهي الزيني إلي الرأي العام هي ضربة معلم وقيام "المصري اليوم"- التي خصتها القاضية الشامخة برسالتها - بوضعها في صدارة الصفحة الأولي مانشيت رئيسي هي ضربة معلم من صحيفة تحترم القارئ وتنحاز له.

ليست الشجاعة فقط هي ما ميزت شهادة الدكتورة الزيني، لكن ما فعلته اتسم بقدر كبير من الفطنة والذكاء يدعمه إحساس عال بالمسؤولية، إذ لا شك أنها فكرت أن ترسل بشهادتها إلي اللجنة العليا للانتخابات مباشرة، لكنها قد تكون خشيت أن يتم دفن الشهادة و"الاستفراد" بها ومعاقبتها دون أن يعلم أحد بما حدث. وربما فكرت أن ترسل بشهادتها إلي الصحف القومية واسعة الانتشار والتوزيع،

لكن فطنتها جعلتها تدرك أن شهادتها قد تنشر مُحرفة وقد يزوّرونها تماما ويدّعون أنها شاهدة علي فوز مصطفي الفقي!. لهذا فقد هداها إلهامها إلي أن ترسل بشهادتها المكتوبة إلي صحيفة محترمة تحظي بمصداقية عالية وسط القراء ولم يعرف عنها أبدا القيام بالتدليس وخيانة الأمانة، ومن هنا كان انفراد المصري اليوم بهذه الضربة الصحفية الساحقة.

و لا أدري لماذا قمت بالربط بين ما فعلته السيدة نهي الزيني وما فعله أديب مصري رائع هو صنع الله إبراهيم، عندما وقف أمام الكاميرات يعلن رفضه جائزة وزارة الثقافة لأنها صادرة عن جهة لا تملك شرعية ولا مصداقية، وقتها أوضح صنع الله أنه خشي أن يرفض الجائزة لحظة إبلاغه بها فيقومون بالتعتيم علي موقفه وربما ينفون أنهم عرضوا عليه الجائزة من الأساس، فتضيع قيمة الموقف، فكان لا بد أن يكون الرفض علي الملأ، وهذا عين ما فعلته الدكتورة نهي، فنشر الشهادة علي الناس ضمن لها إشراك ضمير مصر كلها في القضية ووضعها تحت حماية المجتمع، خاصة

وقد أصبحت في مواجهة أناس يملكون السلطة والمال والضمير الميت، ولا يمكن أن يطالها شر بإذن الله، وهي في أحداق عيون المصريين.

نهي الزيني يا سادة هي إبداع مصري خالص، هي إحدي تجليات هذا الوطن عندما يسفر عن أجمل ما فيه،عندما تشرق علينا مصر بين الحين والآخر بما يبدد اليأس والكآبة والحزن والإحساس بالعجز والضياع. نهي الزيني كما أراها هي واحدة من البسطاء الأقوياء_ و ما أجمل أن يكون الإنسان بسيطا وقويا_ الذين يستطيعون أن يستغنوا عن الحرام بالحلال مهما عظم المكسب الحرام ومهما كانت مغارم الحلال، البسطاء الاقوياء الذين لا ينبطحون أمام السلطان ولو كان الموت هو الثمن. وطبيعي أن يفتح النار عليها كل من أصابته البكتريا القاتلة للضمير، تلك التي تصيب من أدمنوا التزوير ومن دافعوا عن مرتكبي التزوير ومن يخشون من ضياع الرفاهية التي يعيشون فيها إذا انتشر نموذج نهي الزيني والتف حوله الناس. ليس نادي

القضاة وحده من يحمي المستشارة نهي الزيني، وإنما يتعين علي من يريد أن يمسها بسوء أن يعبر فوق جثة مصر أولا.

يثير ضحكي حتي تدمع عيناي أن أري كتاباً عقلاء يتوجهون بنداءاتهم الحارة إلي الدكتور مصطفي الفقي أن يتنازل عن الكرسي المسموم وأن ينزل علي إرادة الناخبين ويعيد الحق إلي صاحبه، ومنطق أولئك الكتاب الطيبين أن الدكتور الفقي ربما لم يشارك في التزوير، وربما لا يعرف أساسا ان الانتخابات قد تم تزويرها لصالحه،وأن الرجل في النهاية هو مفكر كبير له قيمته وله إسهاماته الفكرية، وكتاباته عن الديمقراطية والفكر الليبرالي واحترام حقوق الإنسان، ولا يمكن والحال هكذا أن يقبل علي عياله مقعدا لم يكسبه بعرق جبينه، خاصة بعد أن نشر نادي القضاة صورا من النتائج في ١٣٧ لجنة وبعد أن أيد ١٥١ قاضيا من ١٦٠ شاركوا في الإشراف علي الانتخابات بهذه الدائرة شهادة المستشارة نهي الزيني، وبعد أن أصبح واضحا لكل ذي عينين وأذنين وأنف سليم أن الفائز هو الدكتور جمال حشمت. سأكتم ضحكاتي مؤقتا وأتركها تتفجر في داخلي.

وأقول للسادة الطيبين: معكم حق، الدكتور الفقي رجل فاضل ولا يمكن أن يسمح للتزوير أن يحمله إلي المجلس، خاصة أنه قد أعلن قبل الانتخابات أنه سينسحب لو قامت السلطة بالتزوير من أجله وسأجلس معكم في انتظار أن يأخذ مصطفي الفقي قراره العادل.

في الوقت نفسه أود أن أبعث برجاء إلي السادة المسؤولين أن يهتموا قليلا بموضوع الجمع والطرح ومبادئ الحساب في العملية الانتخابية، فالمسألة برمتها قد لا تكون متعلقة بالتزوير وتزييف إرادة الناخبين ومحاولة فرض مرشح بعينه علي الناس، أبداً قد تكون المسألة مجرد اختلاف في وجهات النظر في المسائل الحسابية، وليس عيبا أبدا أن نستعين بالخبراء إن اقتضي الأمر.

وكإسهام مني في تعميق الديمقراطية وإثراء التجربة وإضفاء بعض الزهزهة علي الأيام، أقترح الاستعانة بتلاميذ مدرسة خليل باباز الابتدائية، فبها يوجد تلاميذ علي

أرقي مستوي يمكنهم ببساطة إدراك أن الرقم ٢٤٦١١ هو أكبر من الرقم ٨٦٠٦ ، ونهاركم زي القشطة.

علي حساب صاحب المحل

مسكين الشعب المصري.. هو ليس منكوبا فقط في من يحكمونه، لكن حظه مع نخبته وقادة الرأي لديه لا يقل سوءا، وأشعر أن الجميع يستغفلونه ويرتزقون من المتاجرة بعذابه.

منذ عدة سنوات كنت في نيويورك عندما هاتفني صديق عزيز وأخبرني بأنه قادم غدا إلي أمريكا للمشاركة في احتفال بتسلم مصر قطعة أثرية تم استردادها إيذانا بعودتها للوطن، وأن وفدا مصريا كبيرا يضم كتابا وصحفيين ومشتغلين بالفكر والثقافة وبالطبع رجال الآثار سيحضر إلي مدينة أطلانطا، حيث الحدث الكبير!.

ورغم أني لم أفهم مغزي المناسبة ولا معناها ولا سبب وجود الأسماء التي ذكرها لي في حدث كهذا، إلا أن فرحتي بالمكالمة ورغبتي في لقاء هذا الصديق جعلتاني

أقرر أن أطير إليه وألقاه هناك، خصوصا أن مجموعة من الأصدقاء والمعارف كانوا ضمن المجموعة.

توجهت من المطار مباشرة إلي فندق الريتز كما أخبرني صديقي، وأدهشني أن تكون الإقامة بهذا الفندق الباذخ المعروف بمستواه الفاخر وأسعاره المرتفعة، وهناك التقيت بجمع كبير من أهل االفكر والصحافة والإعلام وممثلين للصحف والمجلات والإذاعة والتليفزيون، وجدت أيضا عدداً من أركان السفارة والقنصلية ومسؤولي المكاتب الإعلامية والثقافية والتجارية لمصر، أفضيت إلي صديقي بدهشتي من أن ترسل مصر الفقيرة البائسة علي نفقتها كل هذا الجيش الجرار في مناسبة هي في أحسن الأحوال عادية وكان يكفي فيها مسؤول من هيئة الآثار،فأخبرني بأن مصر الدولة لا علاقة لها بهذا الحدث وإنما يتولي الأمر كله أحد رجال الأعمال ممن لهم بيزنس في مصر ومثله في أمريكا، وأنه قد دعا كل هذا الجمع علي نفقته ودفع لهم تذاكر الطائرة والإقامة الكاملة، علاوة علي مصروف الجيب، قلت له إن هذا أسوأ بكثير.. وأعتقد أن إقامة الصحفيين ورجال

الإعلام علي نفقة مؤسساتهم هو أكرم وأدعي لاحتفاظ المرء بحياده وكبريائه في أدائه المهني، أما والحال هكذا فقد تحول كل أصحاب الأسماء الكبيرة من قادة الرأي إلي مندوبي إعلانات وموظفي علاقات عامة يعملون في خدمة رجل الأعمال هذا.

طلب مني صديقي أن أهون علي نفسي، لأن الأمر لا يستحق هذه الحدة، فرؤساء المؤسسات الصحفية يقومون منذ سنوات بالحفر العميق و قد «لهطوا» كل القشطة وتركوا الصحفيين يتدبرون أمرهم بمعرفتهم.. من يستطع أن يجلب إعلانات فليجلب ومن يستطع أن يصادق أحد ديناصورات المال ويتخذه راعيا رسميا فليصادق، والحياة في النهاية لابد أن تجد مخرجاً!، وتمني صديقي أن يقوم كل رجال الأعمال باصطحاب الإعلاميين في رحلات خارجية، حيث الأكل والشرب والأُنس و الفرفشة!.

ثلاثة أيام كاملة تواجدت فيها مع كُتاب مصر وصحفييها وقادة الرأي بها، شهدتهم يجلسون في المطعم

يأكلون كمن خرج للتو من مجاعة جنوب الصحراء، أما عن السهر فقد أرغموا البار علي أن يظل مفتوحا حتي الفجر، والفاتورة مفتوحة وما عليك سوي أن توقع وتكتب رقم الغرفة وكله علي حساب الممول الكريم، ولا أنكر أن الأصدقاء قد تلطفوا وعرضوا علي أن يتحدثوا إلي «صاحب الليلة» فيضمني إلي الفاتورة، حيث لاحظوا أنني الوحيد بين النزلاء الذي يدفع لنفسه ويقيم علي نفقته الخاصة، شكرتهم علي الأريحية والذوق ورفضت العرض الطيب، وأعترف أنني لم أندم أبدا علي قراري هذا خاصة عندما مر من أمامنا رجل الأعمال صاحب الأيادي البيضاء وكنا نجلس في ردهة الفندق، ووجدت الرجال الكبار والنساء الفضليات يقفون «انتباه» وابتسامات واسعة تملأ وجوههم لتحية الرجل، وقد حياهم في لطف وركب سيارته من أمام الفندق.

وأكدت لي هذه اللحظة الفارقة معني لم أشك فيه لحظة.. أكدت لي أنك تكون حراً بقدر استغنائك، إذ وجدت نفسي الشخص الوحيد الذي ظل جالساً بمكانه ولم يقف أثناء مرور المحسن الكريم، وأنا لا أحكي هذا من باب التفاخر،

لكن لأني شعرت وقتها أن مصر ليست بخير، وأن الكثير من كُتابها وحملة مشاعل التنوير بها ليسوا كما يظنهم الناس الطيبين، ولا أستطيع أن ألوم رجل الأعمال الشاطر علي إدارته الناجحة لأعماله وقدرته علي استقطاب رجال الفكر والإعلام، خصوصا أن كل النفقات التي دفعها والتي بلغت ملايين الدولارات كلها مخصومة من الضرائب في أمريكا، أي أنه لم يتكلف شيئا! أقول إنني لا ألومه علي شطارته، لكني ألعن الفقر وألعن الانسحاق الإنساني الذي يجرد الإنسان من اعتداده بنفسه ويجعله أسير السيد المانح، وفي الوقت نفسه أرثي لحال المواطن المصري العادي الذي أسمعه أحيانا يتحدث بفخر عن الكاتب الفلاني الشجاع أو الصحفي العلاني الجسور.

وأضحك ملء فمي ولسان حالي يقول للمواطن المسكين: لقد شاهدت بأم عيني بطلك الهُمام مصطحبا زوجته يقومان بالشوبنج ويستمتعان بالإقامة المجانية علي حساب صاحب المحل في رحلة أطلانطا، بينما صاحب المحل الحقيقي أي المواطن المصري يغط في نوم عميق دون أن

يدري أن كتابه المحبوبين موزعون بين باحث عن كرسي علي الطائرات الرئاسية يأخذه إلي حيث الأسمطة المليئة بالأوزي والبعرور، أو واجب العزاء في صحبة رجل أعمال كريم، أو.. يلتقط الحب في حظيرة الوزير الفنان!.

كشري أبو طارق و مهلبية هاني سرور

التقيت أحد الأصدقاء مصادفة في الشارع، فتكرم بدعوتي علي طبق كشري عند «أبو طارق» وسألني: هل تعرفه؟ قلت: طبعا أعرفه وتستطيع أن تقول إنني شاهد علي مسيرة صعوده من الصفر أيام عربة الكشري علي نفس الناصية إلي أن صار له موقع علي الإنترنت يضع عليه صورته التي يعتز بها و يضعها في صدارة المحل من الداخل كما تحتل واجهة البناية بأكملها، علق صديقي علي مسألة الصورة بامتعاض كأنما استكثر علي الرجل أن يفرح بنفسه، لكني لم أشاركه اعتراضه وقلت له: صحيح أن صورة الرجل تشي بالسعادة الواضحة علي محياه، ونظرته وهو يرنو ببصره للأفق متكئا بذقنه علي راحة يده تبدو كنظرة مفكر حداثي أو بعد حداثي بمحطتين.

لكني في الحقيقة أشاطر الرجل فرحه بنفسه، فهذا رجل يتقن ما يعمل و ينشر السعادة علي زبائنه، ولئن أرادت هيئة الأيزو أن تجد له غلطة ما استطاعت، فكل مقاديره مطابقة للمواصفات القياسية.. عدسه و أرزه، حمص شامه وصلصته، ومكرونته وتقليته.. كله بالمازورة وجميع المكونات ترقص في القدور بنسب منضبطة في اتساق بديع.. لهذا يحق للرجل أن يفرح بنفسه ولا يحق لنا أن نلومه!. قال صديقي: لعلك محق فيما تقول، وبما أنك تشجع اللقمة الحلوة فإني نويت أن أصطحبك حتي نأكل الحلو عند رجل آخر من صناع السعادة طبقا لتوصيفك، ذلك هو هاني سرور صاحب أجمل طبق مهلبية في البلد، وهو لا يقل عن «أبو طارق» افتتانا بنفسه وإعجابا بصورته.

سألته في دهشة: هاني سرور صاحب شركة هايديلينا الذي يقف أمام النيابة للتحقيق في اتهامه بعدم مطابقة منتجاته للمواصفات و وجود عيوب جسيمة بها؟ قال: هو بعينه. سألته: هل هو يبيع مهلبية؟ قال: نعم له محل لمنتجات الألبان يقدم مهلبية فاخرة، ومنذ أن تذوقت منها

طبقاً آمنت ببراءة الرجل وأدركت أن من كان مثله لا يمكن أن يغش في المنتجات الطبية، لأن الجودة لا تتجزأ، قلت لصديقي: لابد أنك تهزل لأن الرجل لا يعمل في منتجات الألبان.

قال: تعال معي وستري بنفسك. وبالفعل اصطحبني معه الي حي الظاهر.. ولدهشتي الشديدة وجدت المحل كما وصفه تتصدره لافتة كبيرة عليها صورة هاني سرور وتحتها اسمه.. نظرت إلي الصورة فأسرتني ابتسامته وأشاعت في نفسي إحساسا لا يسهل وصفه.. بصراحة لقد خطف الرجل قلبي بنظرته الحانية كأنما يشجعني علي الدخول وتناول طبقين وثلاثة بين مهلبية وأرز بلبن وعاشورة.

قضيت وصديقي ساعتين من السحر عند ساحر المهلبية العظيم، وأحسست أن الزبيب وجوز الهند فوق سطح الطبق هي فصوص زبرجد ولؤلؤ نضدها صائغ فنان يتعامل مع زبائنه بحب وحنان. صارحت صديقي بأنه محق

في تقديره لبراءة الرجل، لأن مواصفات الجودة في طبق العاشورة تكشف عن حب جارف للإتقان، ولا يمكن لمن يبيع السعادة في سلاطين فخار أن يصدر الموت في أكياس ملوثة، والحقيقة أنني لفرط انبهاري بما أكلت تساءلت: هل مر العضو حيدر بغدادي بتجربة كالتي أخوضها الآن؟ هل جرب «واحد رز بالقشطة والمكسرات» في هذا المحل؟ أشك..

لأنه لو فعل لكف أذاه عن الرجل وسحب استجواباته وأسئلته، ولا شك أن الدكتور حمدي السيد قد سبقنا وعاش لحظات جميلة في هذا المكان مع سلطانية زبادي علي الأقل، ومنه خرج يعلن علي الناس براءة الأخ هاني سرور ويصرح بأن مصانعه تعتبر فخراً لمصر ويتهم حيدر بغدادي بالعمل لحساب شركات أجنبية يهمها تخريب الصناعة الوطنية.. كذلك السيد وزير الصحة ربما يكون قد أدرك معدن الرجل مع أول قضمة من سندوتش قشطة بالعسل.

أشركت صديقي في أفكاري وذكرت له أن رواية «العطر» للكاتب الألماني باتريك زوسكند تحوي موقفا مشابها عندما اجتمع الناس وقد سحرهم العطر الذي صنعه بطل الرواية وأصدروا حكمهم له بالبراءة، لأنه لا يمكن أن يكون قاتلا بعد أن صنع هذا العطر المعجز.

عند خروجي وصديقي من المحل فاجأنا وجود دكان آخر يحمل اسم هاني سرور وصورته أيضا يبيع الخردوات، وعند الناصية دكان طرشجي عليه نفس الاسم ونفس الصورة.. يا إلهي.. ما هذا إن كل المحلات ـ تقريبا ـ تحمل نفس الاسم والصورة، وهذا ما لم ألحظه عند قدومي، أيعقل أن يكون الرجل قد اشتري كل المحلات علي اختلاف أنواعها وأصبح يمتلك حي الظاهر بجميع حوانيته؟ دخلت دكان علاف وسألت الواقف بالباب: قل لي يا عمنا.. هذا الدكان ملك الدكتور هاني سرور؟

فقال: هاني سرور مين؟ هذا الدكان ملكي أنا ورثته عن أجدادي، فسألته مندهشا: ولماذا إذاً تعلق صورته علي

دكانك؟ فضحك وقال: قبل الانتخابات الماضية حضر رجال هاني سرور وقالوا إنهم سيقومون بدهان المحل وتركيب يافطة جديدة مقابل وضع صورة الرجل للاستفادة منها في الدعاية الانتخابية، ولما كانت ابتسامته حلوة كما تري فلم أجد ما يمنع، وكذلك فعل أصحاب المحلات الأخري.. أما الذين طلبوا أن تدهن لهم دكاكينهم دون أن يضع صورته فقد حرمهم من دهانه ومن صورته!.

ودعت صديقي وقد طارت النشوة وتبخرت السعادة بعد أن أصيب خيالي في مقتل. لكني مع هذا كنت أعزي النفس بأن «أبو طارق» مازال موجودا وأن صورته المبتسمة تقبع فوق دكانه وأنه لم يدهن لأحد.. الهوا دوكو!.

المارشال بهلول يعرف أكثر

قرأت بعدد الأحد ٤ فبراير بجريدة «المصري اليوم» علي لسان أحد السادة المسؤولين عن المرور تصريحات أشار فيها إلي أن النية تتجه لزيادة الغرامات المرورية علي قائدي السيارات والمركبات، وأن الغرامات الجديدة ستبدأ من ٢٠٠ إلي ١٠٠٠ جنيه، وأوضح الخبر أن تجاوز السرعة والسير عكس الاتجاه واستخدام التليفون المحمول كلها أمور سيتم مواجهتها بعقوبات شديدة.

عند قراءتي هذه التصريحات أحسست أنه لا فائدة من أي شيء في هذا البلد مادام القائمون علي أمره لا يعرفون حقيقة ما نعانيه، كيف يمكن أن تكون المشكلة المرورية في فكر المسؤولين عن المرور تتلخص في أن الغرامات غير كافية والعقوبات غير رادعة؟ ومن هنا تتفتق الأذهان عن الحلول المتمثلة في زيادة الغرامات وتغليظ

العقوبات إلي حد جعل السجن هو عقوبة بعض المخالفات المرورية كما قرأنا لمسؤول آخر منذ فترة وجيزة!.

وفي الحقيقة فإن هذه التصورات خاطئة كل الخطأ سواء من حيث التشخيص أو من حيث العلاج، فنحن لا حاجة لنا إلي أي تشريعات جديدة لا في المرور و لا في غيره، كل ما نحتاجه هو تطبيق القوانين الحالية، كما هي وبصورتها الراهنة، فلم تكن مشكلتنا أبدا أن القانون قاصر.. المشكلة أن القانون في غفوة ولا يتم إيقاظه إلا عند الرغبة في «أذية البشر» حسب المزاج.

ولو سألنا أي مواطن بسيط.. لو سألنا حتي المارشال بهلول الذي يرتدي شوالاً مليئاً بغطيان الكازوزة ويقوم بتنظيم المرور في وسط البلد لأخبرنا أن بعض رجال المرور لا يعنيهم انضباط المرور ولا يرغبون في تحقيق السيولة المرورية، لأن هذا يحرمهم من الدخول التي اعتادوا عليها والتي يعود الفضل فيها لحالة الخراب القائمة، هل يتصور عاقل أن محلات العصير المنتشرة في كل مكان

والتي يقف أمامها الناضورجية يشيرون للسيارات ويساعدونها علي الوقوف ثلاثة و أربعة صفوف بعرض الطريق في أكبر و أهم شوارع العاصمة.. هل يتصور أحد أنها تفعل هذا دون حماية من أحد!؟. وسيارات السرفيس التي تهدف العقوبات الجديدة إلي تحجيم فوضاها وعشوائيتها..

ألا يعرف المسؤولون عن المرور أسباب تحديها للقانون واعتيادها الوقوف في منتصف الشارع؟. إن النظر إلي سائقي السرفيس يكشف بسهولة أنهم من المواطنين الغلابة الذين يرتعد الواحد منهم إذا لمح ظل شرطي أيا كانت رتبته، فمن أين إذاً تواتيهم كل هذه الجرأة و كل هذا الجبروت في فرض قوانينهم في الشارع، إلا إذا كانوا مطمئنين إلي أن جرائمهم ليس عليها معقب، وأن أصحاب السيارات التي يعملون عليها من السادة الباشوات كفيلين بحمايتهم.

وهل يخفي علي السيد مسؤول المرور أن زملاءه الضباط قد وضعوا أول لبنة في صرح الفوضي والعشوائية وحوادث الطرق عندما دأبوا منذ سنين طويلة علي منح رخص القيادة لمن يجهلون قواعد القيادة، وأن الامتحان هو في حد ذاته مضحكة! وأن الرخص يتم توصيلها للمحظوظين في منازلهم، وأن هؤلاء هم أكثر من يرتكب حوادث ومخالفات، حتي إنني أتصور أن هذا الهزل في منح الرخص للمعارف هو نفسه الذي يدفع الضباط للتساهل في امتحان القيادة مع من لا يملكون واسطة كنوع من التكفير عن تهاونهم مع المحظوظين، فتكون النتيجة هي هذا الخراب الشامل في الشارع.

وهل يجهل السادة المسؤولون عن المرور أن سيارات الشرطة هي أول من ابتدع السير عكس الاتجاه، ومن ثم تبعها الجميع. وهل لا يعلمون أن سياسة إلغاء التقاطعات التي قاموا بها في معظم أنحاء القاهرة هي بمثابة إعلان إفلاس و عجز عن فرض احترام الإشارة، وهل يجهلون أيضا أن سد التقاطعات قد دفع الناس دفعا إلي السير

عكس الاتجاه تفاديا لقطع مسافات كبيرة بلا داع سوي كسل القائمين علي المرور ورغبتهم في إراحة دماغهم من المرور ومشاكله!.

إن المارشال بهلول المجذوب يستطيع أن يشرح لرجال المرور أن تعويد الناس علي احترام الإشارة هو أمر في غاية البساطة.. وقد يستغرق مدة أسبوع واحد فقط من العمل الجاد وتطبيق القانون علي الجميع مثلما فعلوا في موضوع الحزام عندما أرادوا، وبعد مرور هذا الأسبوع سيكون الناس قد اعتادوا علي النظام، ويمكن وقتها أن نصرف رجال المرور، حيث ستنتفي الحاجة إليهم، ونستطيع إلحاقهم بأعمال أخري تخدم الوطن كاستصلاح الصحراء مثلا، أو نشركهم في مشروع الأسر المنتجة ونشتري لهم ماكينات تريكو أو أي عمل شريف آخر يحتاج طاقتهم و جهدهم.

وإذا كان السادة المسؤولون لا يعلمون فها أنا أخبرهم أن تغليظ العقوبات وزيادة الغرامات في ظل حالة

الفساد والعجز عن تطبيق القانون التي نعيشها لن يترتب عليها أي تحسن في المرور، فالذي سيطرأ عليه التحسن هو دخل بعض السادة المستفيدين من المخالفات سواء عن طريق تحصيلها وتوريدها للحكومة بعد حجز نصيبهم منها، أو عن طريق التغاضي عن تحصيلها مقابل «تفتيح المخ» مع العلم أنه كلما زادت الغرامة ارتفعت قيمة «تفتيح المخ»، لهذا فمن الخير لنا أن تظل التسعيرة عند حدها الحالي رفقا بالمواطنين. أما لو تم تطبيق عقوبة الحبس علي بعض المخالفات المرورية، فوقتها لن يتردد المواطن في أن يبيع هدومه ليمنح ثمنها لمن بيده سجنه أو إعفاؤه من السجن..مش كده و لا إيه؟.

الإجابة عن سؤال من خارج المقرر

وصلتني رسالة من قارئة مثقفة تحوي السؤال التالي: لماذا تكتب؟.. وهل تعتقد أن الكتابة الملتزمة يمكن أن تؤدي - ولو علي المدي البعيد - إلي إحداث التغيير الذي نحلم به؟.

و لما كانت هذه القارئة في نفس الوقت كاتبة شابة و صاحبة واحدة من المدونات الجديرة بالإعجاب، فقد أخذت سؤالها علي محمل الجد، وبعد طول تفكير كتبت لها ما يلي:«هذا السؤال صعب وواضح أنك أتيت به من خارج المقرر، وباعتباري من قوم اعتادوا علي أن تكون الأسئلة في مستوي الطالب العبيط، الأمر الذي يجعل النجاح بتفوق شيئاً مفروغاً منه.

أجدني مرتبكا و مترددا، وفي العادة عندما أجابه بسؤال من هذا النوع فإنني أرد بابتسامة ثم أغير

الموضوع.. لأن الإجابة قد تقتضي العودة الي أصل الموضوع، وأصل الموضوع قد يصل بنا الي بدء الخليقة وقصة سيدنا آدم.. وفي هذه الحالة لا أنت لديك الوقت ولا أنا لدي القدرة.ومن المؤكد أن سؤالك هذا لو كان وجها لوجه لحظيت بابتسامة الموناليزا ثم الهروب الكبير. ولكن لأنه سؤال مكتوب سأقول لك الآتي: إن المرء علي قدر ما تتراكم المواقف والأحداث طبقات فوق طبقات في رأسه مكونة ما يسمي بالخبرة..

بقدر ما تكون السيناريوهات أمامه واضحة فتضيع المفاجآت وتختفي مستوجبات الدهشة، وبناء علي هذا فإنني لا أري ولا أعتقد أن الكتابة يمكن أن تُحدث أي فرق أو أي تغيير كبر أم صغر، ليس فقط بسبب أن عدد الأميين في بلدنا أكبر من عدد من يعرفون القراءة، ولا بسبب أن الأخيرين يعرفون القراءة لكن لا يمارسونها، وإذا مارسوها قرأوا حظك اليوم أقبلوا علي صفحات الرياضة في الصحف..مع أن لا رياضة لدينا و لا يحزنون، إذا فكروا في قراءة صفحة الرأي لم يجدوا بها في الغالب أي رأي.. وإنما مجرد

موضوعات إنشاء ركيكة من أجل ملء المساحة وكأن المساحة هي عبء علي الكاتب وعلي الصحيفة، أو وجدوا كُتابا من نوعية عجيبة لا يشغلها سوي إرسال إشارات الغزل للمسؤولين،وبعضهم يصف كل وزير و كل محافظ يكتب عنه بأنه عالم في تخصصه مع أننا لم نر من علمائه هؤلاء غير الخيبة والإخفاق لكنها الرغبة في تسخير المقالات لصالح البزنس!.. ثم المشتاقين الطامعين الذين تعدت أشواقهم حدود الطبيعي والمعقول الذين يكتبون في مدح شخصيات تافهة ويقرنون أسماءها بأسماء مفكرين عظام وعيونهم علي المناصب الموعودة. أو صاحبنا الذي كتب مقالا قال فيه أنه بكي وأن دموعه سالت مدرارا عندما قرأ مقال رئيس التحرير، علي الرغم من أن رئيس التحرير المقصود لم يكتب مقالا ميلودراميا فاجعا لكنه كتب مقالا سياسيا جيدا، لكن ليس به ما يسحب الدموع من المآقي!.

هذا هو ما يجده القراء في الصحف، يسد عليهم الطريق و يسمم تفكيرهم، أما القلائل من الكُتاب الحقيقيين الذين يملكون الرؤية ويملكون الموهبة من الذين ذكرت لي

أسماءهم في رسالتك فإن ما يكتبونه يضيع وسط محيط متلاطم من التفاهة، و القارئ المسكين يتوه ويضل. أما القراء الذين يشبهونك يا عزيزتي ويملكون الثقافة الذكاء والقدرة علي الفرز، فالكتابة الجيدة لن تغيرهم وإنما قد تساعدهم علي أن يروا ما هم مؤهلون بطبيعتهم لرؤيته، وقد تُثبت يقينهم أو تحمل لهم شيئا من الترويح.

لهذا لا أستطيع أن أخدعك وأقول أنني أكتب بغرض إحداث تغيير أو دفع المجتمع إلي الأمام أو التحريض علي الثورة..لا لا شيء من هذا أبدا، أنا ببساطة أكتب لأن هذا يساعدني علي التخلص من السموم التي تعلق بالروح من جراء تفصيلات الحياة اليومية التي لا مفر منها، أي أنني أكتب لأعالج نفسي، وأحيانا أكتب لألوذ بالعالم الذي أصنعه من العالم الذي أعيشه. وإذا كنت تريدين مزيدا من الدقة..أنا أكتب لأن هناك بضعة أفراد من أصدقائي يحسنون الظن بي وينتظرون ما أكتبه، وأنا أكتب لأسليهم وأمنحهم مادة للهزار علي القهوة في المساء. هذا هو ردي يا أستاذة، فما رأيك أنت؟»

ثم كان أن تلقيت منها الرسالة التالية:

«مع معرفتي بصعوبة التغيير خاصة في ظل عملية الإتلاف المستمر لإنسانية المصريين، و مع إقراري بمنطقية رأيك و معقوليته فإني أري أن استفحال الداء يستدعي تقديم المعونة من كل من يستطيع كل حسب قدرته، وأري أن الكتابة التي تحمل مصداقية لا بد وأن يكون لها مردود وإن صغر. ولا أقصد بالمردود الإحساس بالراحة الذي ينتاب الكاتب بعد الكتابة أو حصد إعجاب القراء _ مع أنهما مردودان جيدان في حد ذاتهما _ ولكن أقصد ذلك الشعور بالقلق و عدم الرضا عن الواقع الذي يترسب في لا وعي القارئ ثم ينتقل إلي وعيه وينقله للمقربين منه ثم تتسع الدائرة، وهذا يصنع أملا في إمكانية التغيير. وأنا أعلم أن الشعور بالسخط والغضب قد يصيب صاحبه بالأمراض النفسية إذا لم يجد منافذ طبيعية لتسريبه، وهذا هو دور الأحزاب الذي أعلم أنه مفتقد، لكنها أي الأحزاب ينبغي أن تكون وعاء لأفكار الحالمين بالتغيير كل حسب انتماءاته وقناعاته.. وبهذا أستطيع أن أتخيل أو حتي أتوهم وجود

ضوء في نهاية النفق، وحتي تصبح الحياة محتملة و ممكنة».

هذا هو ملخص رسالتها.. ولا يسعني سوي أن أحسد مصر التي رغم كل ما فعلوه بها، ورغم السحابة السوداء التي حجبت النور من حياتنا أو كادت.. ما زالت قادرة علي أن تنجب المحبين الذين ما فتئوا يحاولون أن يستولدوا لها النهار من أضلع المستحيل.

حضرات القضاة: لستم باشوات ولا بكوات!

تثير إعجابي المواقف المحترمة للسادة القضاة وإصرارهم علي الاستقلالية، ويبهرني تحديهم للسلطة المتعسفة التي تبغي خنقهم ماليا لاحتواء غضبتهم و طيهم تحت جناحها.

وبرغم انحيازي التام لنادي القضاة واستعدادي لأكون أول المتبرعين بقروشي القليلة لو تم فتح باب التبرع من أجل ألا ينحني قضاة مصر لغير الله.. برغم هذا يظل هناك شيء ما يثير قلقي وحيرتي.. ما الذي يجعل نضال القضاة ومواقفهم الصلبة وشجاعة ناديهم العتيد لا تحظي سوي باهتمام النخبة، أما عامة الشعب فلا أعتقد أنهم يحملون تعاطفا يذكر مع مطالب القضاة ولا هم حتي مستعدين للتأييد بأضعف الإيمان وهو القلب، ولا أعتقد أن مجرد الرد الجاهز المعلب عن لقمة العيش والطاحونة التي

يدور فيها الناس يفي بالغرض.. في ظني أن هناك مسافة تفصل بين الناس وبين السادة القضاة، وهي ليست المسافة المطلوبة لحفظ الوقار والاحترام للقضاء وما يمثله، وإنما هي مسافة ناشئة عن نظرة الناس العامة الي أصحاب السلطة باعتبارهم كلهم شيئا واحدا، إذ لا فرق عند الناس بين القاضي ووكيل النيابة وضابط الشرطة.. فكلهم يمثلون سلطة تستطيع أن تضع المواطن في الحجز بإشارة إصبع، ولا أعتقد أن أحدا يستطيع زحزحة الظن الراسخ والمتجذر في الوجدان الشعبي بأن الخلاف بين المواطن وبين أحد هؤلاء يعني الهلاك المحقق ويعني خراب البيت ودهس الكرامة، ولا أتصور أن الرجال الشرفاء بنادي القضاة والذين نجلهم و نثمّن مواقفهم الشامخة.. لا أتصورهم قد أولوا هذه المسألة أي عناية، وفي اعتقادي أنها لا ترد علي خاطرهم من الأساس.

إن المواطن العادي يا سادة لا يمكن أن يتعاطف مع قضايا البكوات والباشوات، وكما نعلم فكل ضباط الشرطة ورجال القضاء والنيابة يراهم المواطن العادي من البكوات

والباشوات، خاصة وهو يراهم يتنادون بهذه الألقاب فيما بينهم بشكل طبيعي كما لو كانت ألقابا حقيقية حازوها بحكم الوظيفة، وكما لو كانت الوظيفة العامة المنوط بها خدمة الناس قد جعلتهم أسيادا علي الناس!، وجرب أن تستخدم لقب أستاذ وأنت تتحدث مع شاغل وظيفة قضائية أو أمنية، وأريدك أن تحكي لي عن النتيجة!، لقد تلقيت مؤخرا رسالة علي البريد الالكتروني من أحد المستشارين الأفاضل يناقشني في مقال كتبته، فقمت بالرد عليه وشكرته وطلبت توضيح بعض النقاط في رسالته، وأدهشني أنه لم يرد، فلما أعدت قراءة رسالتي عرفت أين الخطأ.. لقد صدرت رسالتي بقولي: سيادة الأخ الكريم.. ولم أقل فلان بك!

إن ما يدفعني لهذا الحديث هو حبي للعدل وإعجابي بصلابة الرجال العظام بنادي القضاة ولهذا أتساءل: أليس في استطاعتكم شطب القضاة الذين قاموا بالتزوير وقمتم أنتم بإثبات تزويرهم من عضوية النادي؟ أليس باستطاعتكم اتخاذ إجراء مع القضاة و(هم قليلون والحمد لله) الذين يتقربون إلي الحزب الوطني ويبعثون إليه برسائل الغزل

ويقدمون ولاءهم واستعدادهم للخدمة فيقومون بمخالفة القانون وإصدار أحكام بالسجن ضد أبرياء لا ترضي عنهم السلطة؟ صحيح أن درجات التقاضي تتكفل بالتصحيح، ولكن ماذا عندما يكون الأمر جريمة متعمدة وليست خطأ طبيعيا؟!.

وألم يصل الي علمكم نبأ الخلاف الذي وقع بين أحد القضاة وبين سائق في مترو الأنفاق عندما أصر سيادة القاضي علي دخول كابينة السائق، لأنه يأنف من الجلوس مع الركاب، فلما رفض السائق «المتمسك بالقانون» تم حبسه وعمل قضية له!، وسؤالي للمستشار زكريا عبد العزيز الذي أحمل له احتراما بلا حدود: هل اتخذت أنت وزملاؤك أي موقف من زميلكم الذي تسبب في حبس رجل أدي واجبه؟ هل وقفتم الي جانب السائق و أعنتموه في محنته؟ وكيف تتوقعون أن تكون نظرة سائقي السكة الحديد للقضاة وللنادي الذي يمثلهم؟.

صدقوني.. ما أتحدث عنه ليس ثانويا ولا تافها، إن هذا هو ما يضع حاجزا بين نادي القضاة وبين جماهير شعب

مصر، الأمر الذي يجعلكم ـ وأنتم تعلنون مطالبكم العادلة ـ تقفون شبه وحيدين أمام السلطة التنفيذية الغاشمة إلا من عشرات الناشطين الشجعان من حركة كفاية وغيرها، أما الشعب فلا يري في الأمر سوي أنه خلافات بين السادة البهوات ستجد طريقها للحل، وأن الداخل بينهم هو الخاسر في النهاية.

يا قضاة مصر.. عليكم أن تُشعروا الناس أنكم قضاة فقط ولستم بكوات ولا باشوات، وعليكم أنتم قبل غيركم أن تعلموا أن القاضي بدون أي ألقاب هو أرفع مقام وأعلي هامة من كل البكوات والباشوات واللوردات ومن كل أصحاب المعالي والفخامة والسمو والرفعة وسائر الألقاب التي يختبئ وراءها الجلادون والمزورون وسارقوا البنوك وأصحاب العبّارات الخردة ولصوص الآثار وناهبو المال العام.. ثم ألا يسترعي انتباهكم أن كل المجرمين الذين أذلوا شعب مصر وارتكبوا في حقه أبشع الجرائم، وأطعموه أكلاً فاسدا ولوّثوا ماءه وهواءه وحطموا كبرياءه.. كلهم تتم

مناداتهم بفلان بك!.. فهل يليق والأمر هكذا بمن كانوا أمثالكم أن يتنادوا بنفس اللقب المشبوه؟!.

جحيم اسمه.. زوجات أصدقائي!

لم أستطع أبداً أن أتجاوز حالة الفتور التي ميزّت موقفي من زوجات أصدقائي أو معظمهن، وربما كان السبب هو فقداني للكثير من الأصدقاء الأعزاء بعد زواجهم أو بسبب زواجهم، حتي أنه لم ينج من هذا المصير سوي علاقات الصداقة التي ربطتني بأشخاص لا تعرفني زوجاتهم!.

ولإدراكي أهمية الصداقة فقد سعيت دوما، لأن تكون لقاءاتي بالأصدقاء خارج البيوت.. في المقاهي والمحلات العامة بعيدا عن قبضة الزوجات، ومع هذا فقد كنت أصطدم أحيانا بمن يصر من الأصدقاء علي حضوري إلي بيتهم وبصحبتي المدام، أو قدومهم لزيارتي في بيتي، كنت أري في الأمر محاولة تلفيقية لا داعي لها لاصطناع علاقة صداقة تربط عائلة بعائلة، وهو الأمر الذي اكتشفت شدة صعوبته

لدرجة الاستحالة بسبب أن الزوجتين قد لا تتفقان في الميول والطباع ، وقد لا تصلحان لتكونا صديقتين، مما ينعكس في النهاية علي علاقتي بهذا الصديق، ولهذا فقد قررت أن أنحي زوجتي خارج نطاق صداقاتي وألا أحاول أن أجعلها طرفا في صداقة لم تطلبها ولم تسع إليها، لكن بقي أن بعض الأصدقاء ليسوا بالضرورة حكماء مثلي، و ما زالوا لا يستطيعون أو لا يرغبون في الخروج وحدهم، ولا بد أن يلقتوني و معهم حرمهم المصون.. لذلك كان علي إما أن أقبل هذا الـ Package كاملا أو أن أضحي بصداقاتهم!..

واكتشفت شيئا غريبا..أغلب من كانوا مستأنسين لا يخالفون زوجاتهم و يسعون للالتصاق الدائم بهن كانوا من الرجال الذين فشلوا في الزواج الأول ولا يحتملون أي هزة في التجربة الثانية، الأمر الذي سهّل علي الزوجات أن يطرحنهم أرضاً في حركة «لمس أكتاف» من أول جولة..اكتشفت أيضا أن هشاشة الرجل في تجربته الثانية «أو حتي الأولي» وقابليته للكسرلا تقابلها هشاشة مماثلة علي الجهة الأخري، فهي وإن كانت بالقطع لا تريد الفشل،

إلا أن هذا ليس بأي ثمن، وجاهل من يتصور أن المرأة هي الجنس الضعيف.. الرجل هو الضعيف، وأستطيع بضمير مطمئن أن أقرر أن الرجل في ٩٠ في المائة من الحالات هو كائن «خرونق» بامتياز! وقليل من الرجال فقط هم من يملكون صفات نسائية مثل قوة الإرادة والتصميم والقدرة علي التحمل وتجاوز الأزمات والبدء من جديد!.

طالت غيبة أحد الأصدقاء وكان يتسم بقدر كبير من الرهافة ورقة المشاعر.. اتصلت به للاطمئنان فأخبرتني زوجته أنه مكتئب بسبب مشاكل في العمل ومشاكل مع زوجته السابقة، ولهذا فقد اعتزل الناس ولا يريد الرد علي أي مكالمات أو مقابلة أي أحد، وعلمت أن الطبيب النفسي منحه إجازة لمدة شهرين، تكرر سؤالي عنه ولم يضايقني عدم استقباله لمكالماتي ودعوت له أن يخرج من نفق الاكتئاب سالما، حتي كان يوم تلقيت منه مكالمة يخبرني فيها أنه يتحدث من السيارة ومعه زوجته وأنهم في الطريق لزيارتي، كدت أقفز من الفرحة، لأنني حقيقة اشتقت إلي صحبته وقد أثقل قلبي مرضه و اكتئابه واعتبرت خروجه

لزيارتي من علامات الصحة والعافية، تحدثنا وتبادلنا القفشات كعادتنا منذ تعارفنا من زمن طويل.. مع هذا كنت أشعر أنه حزين وأنه يبذل جهداً كبيراً ليبدو طبيعيا أمامي ولمحت نفسا مجهدة تتواري خلف الابتسامة المغتصبة، وتساءلت بيني وبين نفسي عما حمله علي النزول وهو في هذه الحالة، ووددت أن أسأله عما به، ولكن وجود زوجته يقف دائما بيني وبين الحديث بقلب مفتوح معه كما كنا من قبل، انتهت الزيارة وقمت أودعهما حتي باب المصعد، وقبل أن أغلق الباب التفتت إلي زوجته قائلة: آه.. بالحق كنت عايزة أسألك علي حاجة.. وشرعت تحكي عن الخدمة التي تريد مني أداءها لها، والتي تبينت أنها كانت السبب الأساسي للزيارة!! اعتذرت بذوق عن عدم قدرتي علي مساعدتها في هذا الطلب لعدم شرعيته قالت: علشان خاطري حاول.. أحسست بقدر هائل من الإشفاق علي صديقي المسكين الذي جرّته معها وهو في أسوأ حالاته وبالكاد قادر علي الحديث، ودهشت، لأنه كان من الممكن

طلب الخدمة بالتليفون دون تجشم عناء الزيارة، ولكن يبدو أن للنساء حساباتهن و تقديراتهن!.

بعد أسبوع اتصل بي صديقي، وكان الإجهاد باديا في صوته حتي وهو يتصنع المرح قال لي: أوحشتنا، نحن في انتظارك غدا علي العشاء.. ما رأيك في أكلة سمك و جمبري وكابوريا.. لا تتأخر عن التاسعة حتي نبدأ مبكرا.. فقلت: ومن الذي يستطيع أن يتأخر عن نداء الفوسفور.. سأكون عندكم من العصر وضحكنا، قبل أن أضع السماعة سمعته علي الطرف الآخر يقول «علي طريقة زوجته» آه بالحق.. عملت ايه لمراتي في موضوعها؟ فأجبته: لقد سبق وأن أخبرتها بعدم استطاعتي وليس عندي جديد أقوله، فأحسست أنه وجم كما لو كان لا يعرف ماذا يقول لزوجته، ثم تبادلنا التحية وانتهت المكالمة. غرقت في حيرة شديدة وسرحت في الموقف.. من الواضح أن ردي علي طلب زوجته بالسلب قد صدمه، ولم أعد أدري ماذا أفعل في عزومة العشاء التي دعياني إليها، ودافعت عن ذهني فكرة أن تكون الدعوة

مرتبطة بأداء الخدمة، لكني مع هذا لم أعد متأكدا من كوني ما زلت موضع ترحيب.

في المساء التالي أخذت سيارتي وذهبت إلي السينما المجاورة لمنزلهم وقمت بشراء تذكرة.. الساعة الآن التاسعة ومازال هناك ساعة قبل بدء الفيلم، جلست في الكافيتريا أحتسي القهوة، و تمنيت أن يطلبني يسألني لماذا تأخرت.. حتي أقول له إنني أقوم بركن السيارة أسفل المنزل وسأكون معهم بعد دقائق، عند العاشرة دلفت إلي السينما وعلي غير عادتي عند دخول السينما تركت الموبايل مفتوحاً.

مضت سنتين علي هذا اليوم.. ومازلت فاتح الموبايل.

حياة وآلام السيد..المثقف!

أي إنسان إذا كانت لديه مشكلة، من الطبيعي أن يشعر ببعض المعاناة و قدر من الضيق يتدرج حسب حدّة وطبيعة المشكلة، لكن إحساس المرء بأن لا أحد يشاركه ما يحسه أو يفهم ما يعانيه.. بالتأكيد سيسبب له عذابا أقسي وأمر من عذاب المشكلة ذاتها، فالإحساس بالاغتراب وسط الناس.. قاتل.

عدت لمصر بعد سنوات بالخارج و بدأت أتردد علي محل مجاور للمنزل يقوم بتأجير شرائط الفيديو والـ« دي في دي». ولاحظت منذ البداية أن نوعية الشرائط ومستوي الصوت والصورة في غاية الرداءة مع أن أسعاره مرتفعة، فكنت أعيد له الشريط الذي أصابني بالنكد بدلا من أن يمنحني سهرة طيبة وأنا مستاء وغاضب، وكنت ألقي عليه دروسا عن أهمية احترام العميل والمحافظة عليه من خلال

تقديم خدمة حسنة وسلعة ذات جودة، خصوصا أن عصر الشمولية قد انقضي والتسعيرة الجبرية التي كانت مبررا للرداءة لم تعد موجودة، والسوق أصبح مفتوحا، والمنافسة علي أشدها، وقانون العرض والطلب يحتم عليه أن يرتقي بالخدمة وإلا ضاع!. ولكن كان بروده يثيرني، وعدم اكتراثه لما اقول يزيد من حنقي وغضبي عليه.. لهذا فقد تركته واتجهت لمحل آخر قريب، فوجدت الأمر لا يختلف واكتشفت أنهم جميعا يقدمون نفس الخدمة الرديئة، واكتشفت كذلك أن مبادئ آدم سميث عن العرض والطلب والمنافسة وقوانين السوق كلها معطلة وخارج نطاق الخدمة! واتضح لي أن أصحاب محال الفيديو كانوا علي حق عندما اتهمني بعضهم بالرغبة في الشغب والبحث عن المشاكل، وأنهم كانوا صبورين معي أكثر من اللازم! ذلك أن بقية الزبائن لم تكن تصدر عنهم بادرة تذمر أو استياء، بالعكس كانوا يبدون السعادة والرضا ولم يشتك أحدهم من رداءة الصوت أو الصورة أو قذارة الشريط.. وقد سبق أن رأيت بعيني بعضهم يستأجر عشرة أفلام في المرة الواحدة بعضها هندي

وبعضها أمريكي أو عربي، وأشهد أنهم كانوا يتبادلون الضحكات الودودة مع العاملين بما يدل علي الرضا التام عن المحل ومنتجاته.

من الضروري أن أذكر أن هذا لم يكن يحدث في حي عشوائي أو لدي محلات رخيصة، الأمر الذي جعلني أتوقف طويلا أمام هذه المعضلة بالتساؤل: ما الذي يجعل أبناء الطبقة الوسطي يقبلون الدنية في حاجاتهم؟ وما الذي يدفعهم الي الرضا بنوعية الحياة الرديئة عندما لا يكون هناك مبرر لهذا الرضا كالفقر مثلا أو الجهل أو انعدام الحيلة، إن الرضا بالدنية والقبول بنوعية حياة رديئة بدون مبرر قد قام علي نحو واضح بتعطيل قوانين العرض والطلب وجعل التاجر يسئ معاملة الزبون ومع هذا لا يخسر! الي حد أن الفكهاني يبيع بضاعته كلها ـ ونصفها معطوب ـ بالسعر الذي يحدده، ولا أستطيع أن أتصدي له بسبب أن الآخرين راضون!.

وحتي عندما أذهب الي السينما وأدفع٢٥ جنيها في التذكرة أجد أحيانا مقعدي مشغولا بأحد الأنطاع الذي جلس مكاني ويرفض أن يقوم، فإذا أصررت علي موقفي أسمع (في الظلام)همهمات الحاضرين من عينة: «ما كل الأماكن زي بعضها يا أخي» أو «ما تعمللكش حكاية واقعد في أي حتة».. هنا يجتاحني شعور ممض بالألم والاغتراب والرغبة في الفرار من المكان ومن البلد كلها.

أنا أعلم أنهم لا يقصدون إيلامي ولا يعرفون أنهم بما يفعلون يجعلونني أكره الحياة.. لهذا أرثي لهم، واتمني أن أعيش حتي آراهم يعرفون الاختراع العجيب الذي عرفته الدنيا كلها واسمه الـ«كواليتي» و يجدّون في طلبه.. ويندرج تحته كل الأمور المتعلقة بالذوق في المعاملة والذوق في المنتج، وهو لا يرتبط بالفقر أو الغني.. يرتبط فقط بالإحساس ونظرة الإنسان إلي نفسه وشعوره بالجدارة والاستحقاق.

ما أشد شعوري بالحنق عندما أقرأ عن المعتمرين الذين يتم إلقاؤهم علي أرصفة المواني والمطارات في انتظار السفن والطائرات التي تنقلهم لأداء العمرة..ومرة أخري أنا لا أتحدث عن الفقراء الذين يتم التعامل معهم بالجزمة ٢٤ ساعة في اليوم..أنا أتحدث عن أناس مقتدرين ماليا ولديهم فائض للرحلات السياحية، ومع هذا يعتقدون أنه كلما زادت البهدلة علي يد الموظفين السفلة كلما زاد ثواب العمرة!!..

ما الذي يجعل أبناء الطبقة الوسطي لا يتصورون وجود نوعية للحياة أرقي مما هم فيه.. هم طبعا يحلمون بالصعود الاجتماعي ويرغبون في المال الذي من المفترض أن يحميهم من الذل لكن هذا للأسف لا يحدث، إذ أنهم مع الصعود الطبقي ووفرة المال لا تتحسن نوعية حياتهم ولا يفرون من الذل.. هم فقط يجدون العزاء في إذلال عدد أكبر ممن دونهم!، ومهما حدث لا يرتفع مستوي توقعاتهم من الحياة، ما يرتفع هو نهمهم الاستهلاكي الذي يزيد الجلافة ويغيب الروح ويسحق الذوق فيجعلهم يستهلكون كل إنتاج

الدنيا التافه والرديء من السلع ، ويجعلهم يملأون جيوب تجار الخردة السينمائية والغنائية، ويحطمون حياة أي باحث عن الهدوء والخصوصية، كما يقتلون كمدا كل من يتوقع منهم المساندة أو المشاركة في الشأن العام وكل من يتمسك بحقه في أن يحصل علي معاملة واحترام لائقين بالبشر... ومع كل هذه الغلظة تجدهم ياللعجب ينكمشون أمام أي موظف، حتي لو كان موظف قطاع خاص هو أصلا يتمني رضاهم وينظرون إليه باعتباره سلطة قادرة علي العصف بهم، فيتنازلون طواعية عن أبسط حقوقهم لديه حتي أنهم يستحون من مواجهة الجرسون في المطعم لو كان الطعام سيئا خشية أن يظن أنهم «مش وش أماكن نضيفة».

عذرا لأنني لم أتحدث اليوم عن الفقراء وعذابهم الذي لا ينتهي، و تحدثث عن بعض حياة و آلام السيد..المثقف!.

إلي حين تصريف البضاعة!

بالرغم من أن نسبة ضحايا الحوادث علي الطرق المصرية هي الأعلي بين كل بلاد العالم، وبالرغم من أن الخراب الذي يحيق بأهل القتلي والجرحي ليس له مثيل..حيث لا يوجد تأمين يعوض أو حكومة ترعي أوحتي نظام يسمح بكسب قضايا تعويض ثم ضمان تنفيذ الأحكام.

برغم كل هذا فقد حققت مصرمؤخرا تقدما تجدر الإشارة إليه بعد أن نجح المسؤولون عن المرور في منع الحوادث التي كانت تقع علي التقاطعات نتيجة تصادم السيارات التي لا تحترم القانون ولا يقف سائقوها عند الإشارة الحمراء..

لقد قام المسؤولون أخيرا في إجراء شجاع بسد التقاطعات وإلغاء الإشارات في العاصمة المصرية، وبهذا انتفت المشكلة ولم يعد لدينا سائقون يكسرون الإشارات، ولا

أظن أن هناك عاصمة في العالم نجحت في جعل معدل كسر الاشارة بها يصل إلي الصفر سوي عاصمتنا الحبيبة!، وللمرة الأولي تنجح الحكومة في إيجاد حل جذري ناجع لمشكلة مزمنة. وأخيرا آن لرجال المرور أن يناموا مطمئنين.. بالضبط مثل الرجل الذي أقض مضجعه علمه بأن زوجته تخونه علي الكنبة، فباع الكنبة ثم نام مطمئنا!.

وأعتقد أن هذه الفكرة الجديدة في دنيا المرور لم تأت صدفة..فقد احتاجت إلي تفكير مبتكر وإلي همة عالية، وكانت بالتأكيد وليدة خيال حر طليق ليس له سقف يرده أوجدران تردعه!. وأعتقد أنه ليس من حق السائقين الأراذل أن يشكوا أويتذمروا من بطء الحركة أوانعدامها لأنهم كانوا السبب برعونتهم واستهتارهم وعدم امتثالهم للإشارة في أن يستفزوا الحكومة التي عُرفت بالحلم والتأني، وجعلوها تعتصر القريحة وتستقطر المُخيخ وتستحضر الإفتكاسة المريعة وتقوم بإلغاء الإشارات التي هي بالمناسبة (الإشارات) المبرر الوحيد لوجود إدارة مرور!.

لكن لا يهم..المهم هوتأديب الخارجين عن الإشارة وجعلهم عبرة للمشاة!. وبمناسبة المشاة صحيح أن الفكرة الجديدة قد حرمتهم من حقهم الطبيعي في تعدية الشارع لأن مرور السيارات لا ينقطع (وقد كانت الإشارة تمنحهم حقا ولونظريا في العبور) لكن المهم هوالنظام والأدب. وفي كل مرة أقود سيارتي وأصل عند تقاطع مسدود أتذكر نكتة الرجل الذي ذهب إلي الشركة المتحدة للدجاج وطلب شراء فرخة فسأله موظف الاستقبال: تريد فرخة صاحية أم مذبوحة؟

فقال: مذبوحة فأرسله للطابق الأعلي وهناك سأله المختص: تريد الفرخة المذبوحة نيئة أم مستوية؟ فقال: أريدها مستوية.. فأرسله إلي الدور الأعلي حيث سأله الموظف: تريدالفرخة المذبوحة المستوية محمرة أم مشوية؟ فأجاب :مشوية، فأشاربإصبعه إلي الطابق الأعلي، فصعد الرجل فبادره المسؤول: تريد الفرخة المستوية المشوية مع السلاطات أم بدون؟ فلما أجاب: مع السلاطات أرسله الموظف للدور الأخير وهناك التقي بالمدير وقال له: أريد

فرخة مذبوحة مستوية مشوية مع السلاطات فأجابه المدير وابتسامته تتسع: آسف يافندم ما عندناش فراخ...إنما إيه رأيك في النظام!!.. وهذا هو عين ما حدث..المرور تم إلغاؤه إنما ايه رأيكم في النظام؟!.

ولئن كان بعض المسجلين خطراً «فكريا» يزعمون أن الحكومة عليها أن تفرض القانون واحترام الناس للإشارة ، ويذكّرون بأن المصريين عندما يقودون سياراتهم في أي مكان بالعالم فإنهم يحترمون قانون المرور، والعيب إذن ليس فيهم، بل في الحكومة العاجزة...فإن هذا القول لا يجب أن يعتد به لأنه أولا يأتي من غير ذوي صفة وهم "المصريين" وثانيا لأن رائحة الحقد تفوح منه!.والحمد لله لم يعد بإمكان حاقد أو موتور أوفاقد للوطنية أن يزعم بأن حوادثا تقع عند التقاطعات، إذ أنه ليس لدينا تقاطعات حتي تحدث عندها حوادث!..صحيح أن حوادث دهس المشاة وهم يقذفون بأنفسهم لعرض الطريق في محاولة للعبوراليائس قد ازدادت بكثافة..ولكن لا يجب أن نخلط الأمور وننظر لنصف الكوب الفارغ!.

وبصفتي ممن يزعمون زيارتهم لمعظم عواصم العالم في كل القارات..يمكنني أن أقدم شهادة لا يسهل تجريحها بأن هذه الفكرة هي مصرية مائة بالمائة ولا يحق لأحد أن ينازعنا في ملكيتها. ولكن بالنظر إلي أننا أصحاب الريادة في المنطقة، والأم الرؤوم لكل الأولاد في الحتة، فإنه يتعين علينا ألا نبخل علي الأشقاء بإتاحة التجربة وسرها الباتع، خاصة وقد صارت ملكا للإنسانية كلها، ولا أؤيد من يرغبون في بيع التركيبة بالفلوس لأن في نشرها ولو بالمجان أكبر دعاية لمصر التي لا تزال ولادة وقادرة علي الإتيان بالعجائب!.

ولا يجب أن نلتفت إلي أصحاب الأصوات المنكرة الذين يتسلحون بالصفاقة ويجدون في أنفسهم الجرأة لإتهام الحكومة بأنها عندما أرادت تطبيق القانون الخاص بحزام الأمان في السيارة، فإنها نجحت في تطبيقه في خلال أسبوع واحد، ولم تعد في مصر سيارة واحدة تخلو من وجود الحزام بعد أن نزل رجال المرور إلي الشوارع وقاموا بتطبيق القانون علي الجميع في جدية وانضباط يثيران الإعجاب...

لا يجب أن نلتفت إلي اتهامهم المعيب للحكومة بأنها لم تفعل هذا لوجه الله والوطن ولكن لصالح أحد الضباع الكبار ذوي الأنياب والمخالب الذي قام باستيراد شحنة أحزمة واحتاج لسلطة الدولة لمساعدته في تصريف البضاعة..فهذا الاتهام متهافت للغاية ويدحضه أن أي حكومة رشيدة عادلة لا يعيبها أن تقف بجانب أبنائها وتساعدهم في تصريف بضاعتهم!.

ولا يهم أبدا أن موضوع الحزام هذا كان موضة وراحت لحالها، إذ أن ذات الموضة يمكن أن تعود لو عاد نفس المستورد وأتي بشحنة أحزمة جديدة. وهذا يؤكد أهمية المستثمرين ورجال المال في خدمة الوطن وفرض الانضباط ولو إلي حين...أقصد إلي حين تصريف البضاعة!.

أنت السيد و سواك...المسوخ

أشعر بالخجل وانا أنظر الي مواقف الحكام العرب مما يجري في لبنان. لقد قاموا طوال الشهر الماضي ببذل كل ما يستطيعون من أجل إرجاع الأسير الإسرائيلي الذي وقع في أيدي الفلسطينيين، ومارسوا كل الضغوط علي حماس وعلي سوريا حتي يعود الولد الي حضن أمه الست أم جلعاد..فإذا بحزب الله يعمق جراحهم، ويصعب الحياة عليهم بأسره جنديين آخرين، ويترك السادة يتخبطهم المس لا يدرون ما يفعلون.

وإذا كان اجتماع وزراء الخارجية العرب لم يفعل شيئا لإعادة الأسيرين لأمهاتهما الدامعاتان، فإن الأمل معقود علي قمة عربية تضع الأمور في نصابها وتعلن للعالم الموقف العربي المتحضر في إدانة الاعتداء اللبناني علي

جيش الدفاع الاسرائيلي في مغامرة غير محسوبة بقيادة المغامر السيد حسن نصر الله.

بعيدا عن الهزل أقول انني لم أتمالك نفسي وأنا أستمع الي بيان السيد حسن نصر الله وشعرت بشحنة كبرياء تملأ كياني، ذلك لأنني لا أنتمي الي فصيلة العقلاء ولا الحكماء الذين ذبحوا الأمة بحكمتهم وعقلانيتهم. إننا لا نملك أي شيء نخاف عليه ، وظهورنا الي الحائط، وبعد مرور ٣٣ سنة علي آخر الحروب أصبحنا نأكل طعاما ملوثا ونشرب مياها قذرة..وليس لدينا من حطام الدنيا الفانية سوي يوسف والي وكمال الشاذلي ومصطفي الفقي والسيد راشد، ومجموعات أخري لا تقل روعة عنهم..فهل نخشي إذا قمنا باستفزاز اسرائيل أن يضيعوا منا في غمار عدوانها علينا؟!.

إن الاستاذ شارل أيوب رئيس تحرير جريدة الديار اللبنانية يبدي الذهول من فكرة الوساطة التي يقوم بها الحكام العرب بين المقاومة العربية وبين إسرائيل، ويراها

مسألة مهينة للغاية. فماذا لوعرف الرجل أنه لا وساطة ولا يحزنون، وأن الحكاية لا تخرج عن لعبة توزيع الأدوار التي يقوم بها الاسرائيليون بأجنحتهم المختلفة!!.

وإذا كان العقلاء من بني جلدتنا ينعون علي حزب الله انه استفز الوحش وتسبب في دمار لبنان، أوكما قال أحد المستظرفين العقلاء إنه يشفق علي العرب من ضربات إسرائيل المجنونة لأنها علي حد قوله: «خُلقها ضيق وروحها في مناخيرها ونظرها علي قدها وايديها طرشة»..اه والله تحدث هكذا في قناة العربية.. فإنني أقول لهم: إن الحياة تحت أنياب الوحش وفي أحضانه لا تعد سلاما نخشي من فقده، وإن إسرائيل لم تتوقف يوما عن ممارسة الاعتداءات علينا بسبب وبدون سبب، وللشيخ أحمد ياسين - رحمه الله قول شهير هوأن «الإسرائيليين سيقتلوننا إن قاومنا وسيقتلوننا إن ألقينا السلاح..فماذا تختارون؟» لهذا فبدلا من أن نلوم حزب الله الذي حاول أن يسترد أسري العرب، يجب أن نحاسب الحكام الأشاوس الذين لم يمدوا للمقاومين يدا وتركوهم يقعون في الأسر ولم يبذلوا أي جهد لتحرير أسير

عربي واحد كما فعلوا من أجل الجندي الصهيوني، وإذا كان رد الفعل الإسرائيلي عنيفاً جداً فلا يجب أن نلوم من يتصدي للوحش، بل يجب أن نحاكم الحكام الذين أوصلونا الي منتهي الضعف وأخرجوا مقاومة العدوان من المعادلة، وجعلوا الخيارات المتاحة أمامنا هي الاستسلام أوالموت. لهذا فمن الطبيعي أن كراهية كثير من الحكام العرب للسيد حسن نصر الله تفوق كراهية الإسرائيليين له، وحنقهم عليه يفوق الحنق الإسرائيلي، لأن إسرائيل علي الأقل تستطيع أن تنعته بما شاءت من أوصاف، أما أشاوسنا الحكماء فيجدّون علي أسنانهم وهم يتحدثون عن المقاومة المشروعة والأخري غير المشروعة، أوعن المغامرات غير المحسوبة وكأنهم يتحدثون عن أرسين لوبين أوسبايدرمان، وليس عن القائد العربي الوحيد الذي أخرج الإسرائيليين قسراً من أرض محتلة بدون اتفاقيات أوتنازلات أوجلوس علي طاولات..أما الذين يتحدثون عن أجندة إيرانية أوأجندة سورية فأتوسل اليهم ألا يرددوا كلام العدو.. مالها الأجندة الإيرانية إذا كانت مؤيدة للحق العربي ومعادية للوحش الذي يحتل أراضينا؟

وما المشكلة إذا كانت أسلحة حزب الله إيرانية أوسورية؟ وهل أمده العقلاء الذين ينفقون المليارات سنويا علي التسليح بأي شئ فرفض وقال أريد أسلحة إيرانية يا بلاش!.

إن إسرائيل لا تخشي أسلحة حزب الله، فلديها ما يفوقها الاف المرات، إنما تخشي أخطر سلاح يملكه العرب والمسلمون اليوم: السيد حسن نصر الله.. هذا الرجل الذي إذا وعد أوفي، هم يعلمون أنه لا يكذب، فإذا قال لهم: علي سكان بئر سبع أن يلزموا الملاجئ هذه الليلة، فمن المؤكد أنهم سيمتثلون، لأنهم جربوه وخبروا أنه يعني ما يقول. هذا الرجل قدم للأمة العربية ما كانت في حاجة اليه..الأمل، وبإذن الله لن ينحني ولووقفت ضد سيفه كل الشيوخ، والرجال التي ملأتها الشروخ، أولئك الذين يحبون طعام الثريد، وامتطاء العبيد، وسيوفهم العربية قد نسيت سنوات الشموخ..لا تصالح يا نصر الله، فليس سوي أن تريد، انت فارس هذا الزمان الوحيد وسواك...المسوخ.

مناسبة اجتماعية خاصة

قرأت ما كتبه الأستاذ مجدي مهنا في عموده «في الممنوع» عن صديقه الذي طلب منه التوسط لدي المسؤولين من أجل أن يفتحوا له قصر عابدين لإقامة فرح ابنته، مثلما تم فتح قصر محمد علي من أجل خطوبة الدكتور محمد كمال عضو الأمانة العامة بالحزب الوطني ومسؤول التثقيف و التدريب. كذلك قرأت رد الدكتور كمال، وتبينت حقيقة الأمر، وعرفت أن الموضوع لم يكن به أفراح أو ليال ملاح، وإنما كان عبارة عن حفل استقبال بسيط لمناسبة خاصة تمت إقامته في أحد ممرات القصر و ليس في قاعة من قاعاته التاريخية، وأن الأمر اقتصر علي المأكولات والمشروبات الخفيفة لمدة ثلاث ساعات فقط. عرفت كذلك أن الأمر تم وفقا للقواعد المتبعة في هذا الشأن والتي تتضمن تقديم طلب لإقامة حفل الاستقبال في القصر، وأن الطلب أخذ الإجراءات العادية والقانونية، والموافقة قد تمت

بدون تدخل أي جهات عليا، لأن القصر مفتوح للمؤسسات والأفراد لإقامة بعض الاحتفالات الخاصة وفقا لسياسة وزارة الثقافة.

من المؤكد أن كثيرين غيري قد قرأوا هذا الكلام، و أنه قد وقع من نفوسهم موقعا طيبا، خاصة بعد أن طمأنهم الدكتور كمال أن المصريين سواسية كأسنان المشط، وأن أي مصري يستطيع أن يتقدم إلي وزارة الثقافة بطلب لإقامة مناسبته الاجتماعية الخاصة.

لكن تتبقي مشكلة..أن من ضمن من قرأوا هذا الكلام و سعدوا به هو الأخ رؤوف وزة، ورغم أن الطابور الواقف علي باب وزارة الثقافة لحجز قاعة بقصر محمد علي لاشك طويل، ويضم كل ألوان الطيف بالمجتمع المصري بعد أن اطمأنوا لعدم الكيل بمكيالين، إلا أن رؤوف وزة له خصوصية تميزه لأنه أولا أحد رجال الحزب المخلصين، وقد وقف معهم في الانتخابات الأخيرة وقفة مشرفة لدرجة أنه يفتخر أن قام بالتزوير كسياسي مخضرم!، وثانيا لأنه وإن

كان استورجياً يقوم بدهان الموبيليا فإنه رجل مطلع ومتنور وعارف لحقوقه، ويقرأ أحيانا في كتب أولاد أخته المدرسية، ثم يطلع علي أصدقائه الاستورجية فيعيد علي مسامعهم ما قرأه خاصة الأشعار مع فاصل من التوبيخ والشتائم لمن يسمعون فلا يعون شيئا. قرر الأسطي وزة أنه سيقيم حفل طهور ابنه شوكت في قصر محمد علي، وعرض الأمر علي أصدقائه، فلما سخروا منه، توعدهم غاضباً وقال إنه سيلقاهم ذات يوم بمنعرج اللوي، أو بين الدخول فحومل، أو بحومانة الدراج. ويومها لن يرحمهم..فلما عقدت الدهشة ألسنتهم أوضح لهم: دي أسماء أماكن يا غجر، فناوشه أحدهم: يبدو أنها أماكن شرحة وترد الروح يا وزة!!.

والحقيقة أن تعلق رؤوف بالطقوس الملكية وعشقه للفخامة والأبهة قد بدأ يوم أن دخل قصر أحد الباشوات لدهان الموبيليا، فخرج من هناك ممسوسا بعد أن عانقت أفكاره الصور المعلقة علي الحوائط لرجال ذوي فخامة و مهابة وشوارب أرستقراطية، يرتدون حللا مزركشة وتبدو علي سيماهم ملامح المجد والفخار.. من يومها لم يعد وزة

هو نفسه الرجل الذي عرفه أهالي كفر الزغاري بالدراسة، صار إنسانا آخر، ملأ غرفته فوق السطوح بصور الملك فاروق وآبائه وأجداده حتي محمد علي، وصار ملكيا أكثر من الملوك. ولإثبات ولائه للفكر الجديد الذي آمن به ولتأكيد النزعة العثمانلي التي تلبسته قام بتسمية ابنه شوكت علي اسم شوكت الأناضولي صاحب القصر الذي سحره، وفي السجل المدني طلب من الموظف أن يكتب الاسم في شهادة الميلاد شوكت الأناضولي، لكن الموظف الغتيت كتبه شوكت رؤوف!.

ومع الاستعداد لتقديم الطلب سأل أصدقاءه إن كان الفيش والتشبيه مطلوبا ضمن الأوراق المطلوبة فقال أحدهم: وهل تنوي التقديم في كلية الشرطة؟ انت قلت إن كل المطلوب هو دفع «المؤنن» وحجز القاعة، فرد ثالث بأنه لا يعتقد أن الأمر بهذه البساطة ويخشي أن موضوع الفازة التي أخذها رؤوف من منزل الأناضولي قد تعرقل الموضوع..فاحتد وزة: قلت لكم أكثر من مرة إن الفازة كانت تذكارا من الأناضولي، فسألوه في سخرية: وهل التليفزيون

الملون الذي ضبطوه لديك كان أيضا تذكارا من الباشا؟!، فقال لهم: خسئتم يا حوش..ذات يوم سيعلمكم شوكت ابني معني الاحتشام بعد أن يصير عضمة كبيرة. ورغم التوجس فإن وزة يستعد لتقديم الطلب و ينوي أن يحجز قاعة بأكملها و لن يكتفي بعمل الحفلة في أحد الممرات مثل الدكتور كمال لأنه يخشي علي الواد شوكت أن «يتلطط» في الممر، وسيطلب من أم شوكت أن تجهز سندوتشات اللانشون وصناديق الكازوزة وعلب الملبس. ولئن كان الدكتور كمال قد أكد أن حفله كان بسيطا ولم تكن به أفراح أو ليال ملاح، فإن الأخ وزة يعتقد أن كل واحد حر في مناسبته الخاصة، وإلا لماذا هي خاصة؟ كان ممكن يصدر بها منشور ويتم تعميمه علي الجميع، لكن حلاوتها أنها مناسبة خاصة سيدعو فيها الحبايب الذين يريدون مجاملته، وله في أعناقهم نقوطا لا يقل عن ٣٠٠ جنيه، و سيصخب ويمرح ما شاءت له الشقاوة والسعادة بولي العهد وأول فرحته.

لنتركه لأحلامه واستعداداته ونتساءل عن مأزق الحكومة مع رؤوف وزة الرجل الذي قرأ كلام السيد عضو

الأمانة العامة ومسؤول التثقيف بالحزب الوطني فاقتنع به وصار يملأه العشم ويمني نفسه بليلة سلطاني في حفل طهور ولده شوكت.

ومن جهة أخري أتوق لمعرفة موقف صديق الأستاذ مجدي مهنا، وأرجو من الأستاذ مجدي أن يحيط قراءه بالموقف إذا كان صديقه لايزال علي رغبته في حجز قاعة في أحد القصور الملكية وفقا للقواعد المتبعة مع المصريين عند طلب إقامة مناسبة اجتماعية خاصة.

عن الذين صاموا لرؤية «عطارد»!

كان الحديث يدور حول الأوضاع السياسية في المنطقة وأحوال العالم العربي المتدهورة، عندما فاجأني صديق أمريكي بالتساؤل: لماذا لا يأتي أول رمضان عندكم دائما في أول رمضان؟ قلت: ماذا تقصد؟ فقال: إن عيد الاستقلال لدينا يأتي كل عام في الرابع من يوليو، ولم يحدث أبدا أن جاء يوم ٥ أو ٦ يوليو، كما أن الولايات الأمريكية الخمسين تحتفل بالعيد في نفس اليوم، ٤ يوليو في كاليفورنيا هو نفسه ٤ يوليو في فلوريدا، فلماذا نجد لديكم أن أول رمضان المصري هو ثاني أيام رمضان السعودي، وأن أول رمضان الليبي هو ثالث أيام رمضان اللبناني.. وهكذا.

أثارت تساؤلاته المنطقية وجيعتي ونكأت جرحا أحمله وأسير كما يحمله ٣٠٠ مليون عربي! وسبب هذا

الجرح أننا جميعا نعلم أن تحديد أوائل الشهور العربية وبالذات أول رمضان لم يخضع أبدا لا للرؤية بالعين ولا للحسابات الفلكية ولا لأي قياس منطقي ومحترم، وإنما يخضع دائما للمزاج والهوي! مزاج السادة الحكام وهواهم. فمثلا كان القرار السياسي يصدر في فترة مصر الناصرية غالبا بتحديد أول رمضان بما يخالف ما أعلنته المملكة السعودية، أما في فترة حكم الرئيس السادات فلم يحدث أبدا أن خالف هلال رمضان المصري أخاه الهلال السعودي. وهكذا كان الأمر في كل البلاد العربية، وكان العناد والكيد هو العامل الحاسم في تحديد أول رمضان. أما الآن فأنا لا أعرف علي وجه التحديد الاعتبارات السياسية التي تحدد أول الشهر الكريم خاصة أن الدول العربية التي يفرقها التناحر والتنابذ والأنانية قد تم توحيدها أخيرا وأصبح يجمعها كلها رباط واحد هو تبعيتها للسيد الأمريكي وعدم قدرتها علي عصيانه في أي صغيرة أو كبيرة، ولهذا لم نعد نجد تباينا أو تمايزا في المواقف والقرارات السياسية بكل بلد عربي علي حدة . ولهذا فأنا في غاية الدهشة من

استمرار تعدد بدايات رمضان في البلاد العربية بعد أن أصبحت كلها علي قلب رجل واحد إسمه جورج بوش!. ولقد قرأت بالمصري اليوم ما أثار ضحكي الممزوج بالحسرة عن أن تحديد أول أيام شهر رمضان بالمملكة العربية السعودية باعتباره يوم السبت ٢٣ أكتوبر قد تم بناء علي رؤيتهم لكوكب عطارد وليس رؤيتهم للهلال! وانتابتني الحيرة عن الكوكب الذي شاهده الإخوة في ليبيا حتي يكون صيامهم بعد السعودية بيومين.. هل هو المريخ؟ وأي كوكب شاهدناه في مصر، وهل يا تري كنا نصوم طيلة سنوات ارتباطنا بالسعودية قمرياً طبقا لرؤية عطارد؟. إن الحديث الشريف القائل: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته» كان يعني القمر ولم يكن يتحدث أبدا عن أي من كواكب المجموعة الشمسية!.

نعود ونسأل.. هل السفير الأمريكي في كل بلد عربي هوالذي يقوم الآن بتحديد أول رمضان؟ وإذا كان الأمر كذلك فهل يكون مقصودا أن تصدر التعليمات الأمريكية بتحديد ثلاثة أيام مختلفة وتوزيع أقطار الوطن العربي عليها، حتي

يجعلوا منا هدفا للهُزء والسخرية أمام العالم كله..لا أدري، ولكن ما أدريه أن حرب بوش الصليبية ضد المسلمين والمسيحيين العرب تأخذ أشكالا عديدة منها الإعلامي والدعائي، ومنها الثقافي والتعليمي ومها القصف بالقنابل العنقودية..و لا أظن أن الفيلم الدنماركي الأخير يخرج عن هذا السياق، كما أن الخطاب التحريضي الشهير في محاضرة بنديكت روما الملئ بالحقد والكراهية والعداء السافر للإسلام هو في خدمة المجهود الحربي ذاته. كذلك التعليمات الصادرة الي الدول العربية للعمل علي تخليق إسلام جديد يتناسب مع أطماع إسرائيل في الهيمنة علي المنطقة بأسرها، إسلام لا يتضمن عزة ولا كرامة ولا جهاد ضد الظالم ولا دفعا للعدوان، يريدون تخليق إسلام صهيوني كما قاموا بصناعة مسيحية صهيونية متعاطفة مع من صلبوا المسيح «طبقا للمعتقد المسيحي» وذلك بعد أن قام الفاتيكان بإصدار وثيقة تبرئ اليهود من دم المسيح، ولا أعرف والحال هكذا من المسؤول عن دم المسيح في الرؤية الكاثوليكية الجديدة..أرجو ألا يكون الإرهاب الإسلامي!، كما أرجو أن

ننتبه للتغلغل الكاثوليكي والبروتستانتي في المجتمع المصري، وأنا لا أقصد القيم الدينية، أقصد المحتوي السياسي الصهيوني الذي يتسلل للفقراء داخل مصر. وإذا كان للأقباط الأرثوذكس بابا يحميهم ويذود عنهم، فمن للمسلمين الفقراء في عزبة الهجانة والدويقة واسطبل عنتر الذين وقع شيخهم وثيقة حماية الحقوق الدينية مع الفاتيكان حتي يقوموا بنشاطهم في أمان.

و أما عن الإسلام الذي يريدونه صهيونياً فمن وسائل ذلك تعويد الناس علي السخرية من ثوابتهم، واستغلال سوء حال المسلمين، مع لصق كل نواقصهم بالإسلام..و لا ننسي أنه من الصعب علي الإنسان العادي أن يفصل بين الإسلام وبين المسلمين كما يراهم! ولا ننسي كذلك أن الاسلام عندما انتشر في جنوب اسيا وفي أفريقيا كان ذلك عبر التجار المسلمين وبدون أي غزوات أو حروب. وكانت أخلاق المسلمين وتحضرهم وسلوكهم المحترم هي التي جعلت تلك الشعوب تري أن هؤلاء الناس لا بد وأن يكون دينهم محترما مثلهم.

فهل حالنا اليوم يسمح للآخرين أن ينظروا للإسلام علي نحو إيجابي؟ وهل يدعم من صورة الإسلام في الغرب، أن يخاصم المسلمون العلم، وأن يصوموا لرؤية عطارد؟!.

يا أمة ضحكت من "وكستها" الأمم!

عندما قامت إسرائيل في عام ١٩٨٨ بإطلاق أول قمر صناعي لها في خطوة وصفت بأنها نقلة علمية عملاقة، لم تقف مصر مكتوفة الأيدي.. في الأسبوع ذاته تم إطلاق الرغيف الطباقي في الأسواق، وأذكر أن وزير التموين في ذلك الوقت أطل علي الناس من تليفزيون الريادة في مؤتمر صحفي حاشد، وتحدث ملياً عن الحدث الذي طال انتظاره، وبشّر الجماهير بأن الرغيف الطباقي زنة ٩٠ جراماً ليس آخر ابداعات وزارته، وإنما الخبراء في المخبز الآلي الجديد عاكفون علي تطوير أجيال جديدة من الرغيف، بعضها محمص و بعضها بدون ردة، وقد أجاب سيادته عن أسئلة الصحفيين وأعلن أن زمن التصاق وش الرغيف بقفاه قد ولّي بغير رجعة، وأن الأجيال الجديدة من الطباقي ستتميز بالدقة في المعايير والمكونات والمدي الذي تغطيه المخابز ،وإصابة الهدف الذي هو في النهاية ملء بطون أبناء مصر.

ومع هذا فقد أحس المصريون وقتها بأن الرغيف الطباقي ربما يكون معجونا بالماء الثقيل «قبل تنقيته من المجاري» وتناولوا سيرته بسوء، كذلك حاول بعض الرعاع المشككين(الذين يأكلون شُكُك) أن يثيروا اللغط حول البرنامج الطباقي، وحاولوا أن يعقدوا مقارنة سخيفة بين القمر الصناعي الذي أطلقته إسرائيل بغرض التجسس علي البلاد العربية و بين برنامج مصر الطموح للعيش السُخن، و لكن كتيبة الصحفيين الذواقة الذين حصل بعضهم ـ في تمييز واضح ـ علي ألف عيش (ألف عيش بلغة الأفران تعني ٢٠ رغيفا) ـ أقول إنهم وقد أسكرتهم طعامة الرغيف مع الجبنة بقوطة «كان هذا قبل عصر البعرور والأوزي» ـ انطلقوا يدافعون عن فكر الحزب الوطني في صيانة الأمن القومي المصري وركيزته الأساسية «الرغيف» وقاموا بإفهام الجمهور الجاهل بأن مصر منذ أن اعتمدت السلام خياراً استراتيجياً لها ومنذ أن آمنت بأن حرب أكتوبر هي آخر الحروب، أصبحت تري أن رفاهية شعب مصر أهم من أقمار التجسس أو السلاح المتطور الذي يغري بالحروب، و لما

تساءل البعض عن كيفية حماية الرغيف الطباقي من الوحش الذري الرابض علي الحدود، كان الرد المفحم: بالسلام وبمزيد من السلام!

وهكذا مضت المسيرة سنة وراء سنة حتي دخلت الدنيا في عصر القنوات التي تبثها أقمار صناعية مزروعة في الفضاء.. ومرة أخري تعلو أصوات المشاغبين وأهل «اللماضة» يطالبون بأن نشارك في تصنيع القمر الذي ننوي شراءه و أن نشترط علي الدولة الموردة أن يقوم المهندسون والفنيون المصريون بالاطلاع والمشاركة في كل مراحل تصنيع القمر حتي يكتسبوا الخبرة والمعرفة التقنية كما فعلت الهند.. لا أن نشتري قمراً جاهزاً «تسليم مفتاح» دون أن نتعلم شيئاً. لكن الحكماء كالعادة يتدخلون في الوقت المناسب لينزعوا فتيل الفتنة و يفسروا للبسطاء ما استعصي عليهم، ويتم استدعاء شيوخ الحزب الوطني الذين يقدمون تفسيراً لوذعياً للأمر، ويشرحون للناس أننا خير أمة أخرجت للناس، وأن الله كما سخر لنا الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لنا الأنعام، كذلك سخر لنا الخواجة الأجنبي

الذي يسهر في معمله يفكر ويبتكر ويخترع ويصنع أدوات الحضارة من تليفزيون و تليفون و طائرة و سيارة وبلاي ستيشن، ثم نحصل عليها ونحن علي الشلت قعود دون بذل أي مجهود.. فهل نكفر بالنعمة ونقوم نحن بالتفكير والاختراع ونمنح الكفرة خلاصة عقولنا علي الجاهز؟!.

وتمر الأيام ويندثر المشروع القومي للرغيف الطباقي الذي أطلقه علماء الحزب الوطني كبديل آمن عن الأقمار والصواريخ، ويبقي الرغيف الخنفشاري قاسي الوجه والسمات، ويقال إن ضغوطا أمريكية كانت وراء إيقاف البرنامج!.

في الوقت نفسه، أسفرت فضائيات الريادة المنطلقة من أقمار الخواجة «المغفل» عن مواد وبرامج في أكثر من ثلاثين قناة، من فرط حلاوتها جعلت النفس «تجزع» فلم يعد يراها أحد.

وهكذا.. في كل مرة واجهنا تحديا يقتضي استنفاراً علمياً واحتشاداً ذهنياً ونفسياً كان الحزب الوطني يؤثر البعد

عن وجع الرأس ويعتصم بالحكمة ويلوذ بالكسل اللذيذ لحمايتنا من التيارات الوافدة، ولم يجد الحزب الوطني أبدا في صفره الكبير ما يدعو للخجل، لأنه علي الأقل يدرأ عنا حسد الحاسدين.

فما الذي حدث يا تري وجعل حزبنا الطباقي يغير اتجاهاته العلمية وتقاليده الراسخة التي عودنا عليها، وينحو فجأة جهة المفاعلات النووية التي طالما خوّفنا منها لأنها قد تفعل بنا ما أحدثه مفاعل تشرنوبيل الشرير بأهل أوكرانيا؟!

لن أدع الحيرة تستبد بي، فأياً كانت الإجابة فالحزب الوطني دائما يعرف أكثر، ومن الحماقة عدم تصديق قياداته، ومن الحماقة أيضا تصديق أصحاب الغرض الآثمون من القلة الحاقدة والشرذمة المندسة وسط الجماهير الشريفة، تروج لمقولات فارغة، ما أنزل الله بها من سلطان، من عينة أن الحزب الوطني إذا قال قولة حق.. فابحث عن السبوبة!.

كلمة أخيرة:

قال الشاعر فؤاد قاعود:

غابت مفاتيح الأمان.. وما أسعفتش الكهانه

ما عدت عارف حاطط راسي ع المخدة.. ولاّ مريحها علي
دانه

الكارثة مش باينه ملامحها.. لكنها جيانا جيانا



عليٌ خطي الحبيب.. بورقيبة!

نشرت صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية يوم الجمعة الماضي نبأ اتصالات سرية تمت بين اسرائيل والسعودية، كما نشرت نص مقابلة صحفية مع إيهود أولمرت أعرب فيها عن إعجابه الشديد بالعاهل السعودي وبآرائه وحنكته السياسية، وقال إنه متأثر جدا من التصريحات السعودية الأخيرة العلنية منها والسرية! «خاصة المتعلق منها بإدانة حزب الله وتبرير العدوان علي لبنان»

وشدد علي انبهاره بالمسؤولية التي يتحلي بها حكام المملكة، وفي نفس السياق نشرت الصحيفة الصهيونية عن ولي عهد البحرين أنه قال خلال اجتماعه في نيويورك مع نائب رئيس الوزراء الإسرائيلي شيمون بيريز قاتل الأطفال في مجزة قانا ٩٦: إن تسخين العلاقات بين الدولتين سيكون

أسرع مما كان متوقعا، ودعا الإسرائيليين إلي صنع شرق أوسط متطور ومنتعش في جميع المجالات، وأضاف أن البحرين بصدد اتخاذ قرار يسمح للإسرائيليين بالقيام بزيارات علنية إلي المملكة، كما وجه دعوة لبيريز لزيارة البحرين.. وقد أثني بيريز علي ملك البحرين وأشاد بحكمته وحنكته السياسية!.

لم تعد هذه اللقاءات بين حكام عرب تبعد بلادهم عن إسرائيل مئات الأميال تثير دهشة أحد، ولم يعد الغزل العلني المتبادل بين مجرمي الحرب الإسرائيليين وبين حبايبنا الحلوين الزعماء العرب يمثل خبرا يستحق الاهتمام، غاية الأمر أننا كنا حتي وقت قريب نظن أن القاهرة وحدها تحتكر توكيل الحكمة في الشرق الأوسط وأنها المورّد الرئيسي للحنكة بكل صورها (كبسولات وحبوب وأيضا لبوس) فإذا بملوك الخليج طبقا لتصريحات زعماء إسرائيل يسحبون التوكيل أو يشاركوننا فيه، الأمر الذي يشكل خطرا ماحقا علي الشعوب الخليجية التي ألفت رغد العيش والحياة

السهلة خشية أن تصل بهم الحكمة المفرطة إلي حدود المجاعة كما وصلت بنا!.

عادت بي الذاكرة اللعينة إلي أيام كان مجرد التفكير في الاتصال بالإسرائيليين يعتبر جريمة ما دامت تصر علي احتلال الأرض واغتصاب الحقوق، وتذكرت كيف كان الموقف حادا لدرجة التطرف إزاء حكام مثل الحبيب بورقيبة الرئيس التونسي السابق الذي قاد تحولات في بلاده كان فيها سبّاقا بأكثر من ثلاثين سنة لما يحدث الآن بالمنطقة العربية، ولا شك أن أنصاره يحق لهم أن يفاخروا بما يعتبرونه رؤيته العميقة وبصيرته النافذة عندما قرر عن طيب خاطر وبدون أي ضغوط أن يحلق لنفسه ويحلق لشعبه (علي رأي الأخ علي عبد الله صالح فيما بعد) رغم أن مقصات الغرب وأمواسه لم تكن مشرعة في ذلك الوقت، الأمر الذي يؤكد أن الحنكة والحكمة قد طالت الشمال الأفريقي مبكرا وأنها لو دامت لغيرنا ما وصلت إلينا.. وهكذا الدنيا!.

كان الحبيب بورقيبة مفتونا بالغرب إلي حد كبير، وكان أول حاكم عربي يدعو للاعتراف بإسرائيل، ومن تصرفاته المتطرفة في التغريب أنه أصدر قانونا عام ١٩٥٦ يمنع تعدد الزوجات، وفي مرحلة لاحقة دعا الي تحريم الصوم علي الشعب التونسي بدعوي أنه يقلل الإنتاج ويعوق التقدم وظهر علي التليفزيون يتناول الطعام في نهار رمضان حتي يحذو التونسيون حذوه! كما لم يتردد في منع ارتداء الحجاب، وقيل أنه أجبر طالبات كلية الشريعة بجامعة الزيتونة الإسلامية علي المشاركة في مسابقة للسباحة بالمايوه البكيني، أما مناهج التعليم فقد فعل بها ما يقومون بإملائه علينا في مصر وفي كل البلاد العربية من تخفيف الدين بالتدريج حتي يتلاشي.. كل هذا فعله الرجل طواعية وعن اقتناع.

ولقد كانت الجماهير العربية في ذلك الوقت تستنكر هذا النهج البورقيبي الصادم، وكان التعبير عن الرفض يأخذ أحيانا أشكالا غير لائقة أذكر منها الحفل الذي قدمه التليفزيون عام ٦٦ وقامت فيه الفنانة لبلبة بالسخرية من

الزعماء العرب وغنت قائلة: قل لي ولا تخبيش يا زين إيش مصير فيصل وحسين!، كما خصّت الرئيس بورقيبة بفقرة كاملة استهلتها بالقول: بورقيبة الخيبة الخيبة..و طبعا ليس مقبولا تحول الخلاف السياسي إلي شتيمة وبذاءات، ولكن هذا شأن العرب جميعا في خلافاتهم عندما يحشدون كتابهم وصحفييهم وفنانيهم للنيل من الآخر وتجريحه.

لكن نستنتج من هذا أن ما كان يمثله الحبيب بورقيبة في ذلك الوقت من ممالأة الغرب ومعاداة الدين وسعي لمصادقة إسرائيل كان محل استنكار واستهجان بقية العرب أو أغلبهم.

لكن تمر الأيام ونجد ما كنا نعتبره من الكبائر الوطنية وقد صار سلوكا عاديا ونجد الزعماء العرب يغازلون إسرائيل ويطلبون رضاها وينفذون في داخل بلادهم كل ما يسلخهم عن هويتهم العربية الإسلامية ويصطفون في طابور يسير بانتظام علي خطي الحبيب.. بورقيبة!.

اختراع أنفلونزا الطيور

اعتادت الولايات المتحدة أن تخرج علي العالم بصرعة جديدة كل عام أو كل عدة شهور أو كلما اقتضي الأمر، وهذه الصرعة هي ما يسمونه Hit، والغرض من هذه الصرعات التي تتغير باستمرار هو الطرق علي رأس العالم وجعله لا يفيق أبدا، واستغلال السطوة الإعلامية الهائلة والقوة السياسية والعسكرية التي جعلت بلدان العالم تضع الرغبات الأمريكية والمزاج الأمريكي علي أجندتها طوال الوقت، واستغلال ذلك في عجن العالم و"تبطيطه" وتشكيله علي نحو مذهل، يصل الأمر أحيانا لدرجة أنني أتصور أن "بلياتشو" يريد اللعب والعبث هو من يفعل ذلك لا دولة عظمي.

هل نسي العالم صرعة العام ٢٠٠٠ ؟ هل تذكرون مشكلة الصفرين قبل مطلع الألفية الثالثة عندما حذروا العالم من الكوارث التي قد تحدث لكل الجهات التي تستخدم الكمبيوتر لأن تصميم أجهزة الكمبيوتر التي لا تعرف الصفرين قد يترتب عليها تساقط الطائرات من السماء وانطلاق الصواريخ من منصاتها وانفجار المعامل والقنابل النووية والإشعاعية في كل مكان،وحبس العالم أنفاسه ووقف علي أطراف أصابعه من الإثارة والرعب وعقارب الساعة تقترب من الثانية عشرة ومطلع العام الجديد يقترب..و لم يحدث شيء، فقط نجحت الولايات المتحدة في أرجحة الكرة الأرضية وجعل العالم يرقص علي الإيقاع الأمريكي وجعل القضية التي شغلت بال الأمريكان فترة قليلة - ووجدوا لها معالجة سريعة - جعلوها قضية كل البشر في أنحاء العالم لمدة عام كامل.و قبلها كانت صرعة الخسوف الكلي للشمس يوم ١١ أغسطس ٩٩، عندما جعلونا نغلق الأبواب والشبابيك ونحكم إسدال الستائر ونختبئ تحت الأغطية خوفا من الأمراض الخطيرة وسرطانات الجلد

والحروق الكاوية والاصابة بالعمي، بينما خرجوا هم يحتفلون بالقمر وهو يحجب الشمس في الحدائق والمتنزهات ووقفوا يتفرجون علينا ونحن نتخبط في أشياء لا نفهمها وكالعادة ندعو للحديث عنها في التليفزيون كل من يشاركنا الجهل بها!.

مرة أخري نواجه "تفنينة" جديدة لعام ٢٠٠٣ هي مرض "السارس" الفتاك الذي يوشك أن يقضي علي الجنس البشري، فاضطربت أحوال الناس وتأثرت حركة التجارة وحركة السياحة والسفر في العالم كله، لأن مواطنا في الصين أصيب بالمرض ومواطنا آخر في كندا مشكوك في إصابته! وحتي الآن لم يخبرنا أحد عن مصير السارس وأين ذهب وكيف بدأ وكيف انتهي!.

لهذا لا أستطيع أن أنظر لصرعة أنفلونزا الطيور نفس نظرة حكومتنا المذعورة لها، أنا أنظر لها باعتبارها اختراع العام الجديد لتحريك العالم مثل لعبة "اليويو" ولا أستطيع أن أنظر ببراءة إلي منظمات مثل "الفاو" أو منظمة

الصحة العالمية..فكلها أدوات تشارك بعلم أو بدون علم في العرض الكبير الذي يقدمه العم سام عندما تتجه ومعها الحكومات إلي الاهتمام بعشش الفراخ التي لم يطرأ عليها أي تغيير منذ فجر التاريخ، فكلنا نعرف "الفرة" التي تصيب الدجاج كل عدة سنوات ولا تصيب البشر أبدا، فما الذي حدث هذه المرة حتي تقوم إحدي الشركات المتعدية للجنسيات والمتخطية للحكومات بإنتاج عقار وبيعه علي نطاق واسع وتحقيق مليارات الدولارات من أجل علاج البشر من مرض لا يصيب البشر!

ولا تتردد حكومتنا في اقتناص اللحظة قبل أن تفر، فالفرصة صارت مواتية لضرب عشرة عصافير بحجر واحد..إنهاء الحديث عن الجريمة البحرية الكبري التي أضاعت ١٠٠٠ نفس مصرية غرقا في عبّارة الشوؤم، وإسكات الأصوات التي ارتفعت تطالب بمحاكمة صاحبها، وتسديد ضربة قاصمة لعدة ملايين من المصريين، هذا الشعب الشرير النكد الذي لم يمنح حزب الحكومة تأييده في الانتخابات البرلمانية واضطرهم للتزوير الفظ الذي نال من

سمعتهم في كل مكان واضطرهم أيضا لتأجيل انتخابات المحليات رعبا من هزيمة محققة، وقد جاءت فرصة هوجة "الفنكوش" أقصد أنفلونزا الطيور لتسدد الحكومة ضربة موجعة الي أعدائها دون أن يلومها أحد لأن الكارثة هذه المرة من عند ربنا ولا يستطيع أحد أن يعترض علي كلام ربنا!!

وبهذه المناسبة أود أن أشير إلي عدد الخميس ٢٣ فبراير من "المصري اليوم"..في هذا العدد أتي ذكر الدكتور فتحي سعد محافظ الجيزة أكثر من مرة..في صفحة الرأي كتب الأستاذ صبري غنيم عن العالم الأستاذ الدكتور فتحي سعد أستاذ علم الدواجن الذي أهدروا قدراته العلمية الفذة وشغلوه بمنصب المحافظ، فأصبح يهتم بأمور مثل رصف الشوارع والصرف الصحي والخدمات بدلا من الاستفادة من علمه الغزير كعالم متخصص في تربية الدوجن يستطيع وحده إدارة ثروتنا الحيوانية لتوفير البروتين الغذائي للمواطنين.

وفي الصفحة الخامسة من نفس العدد خبر عن مظاهرات لمنتجي الدواجن أمام القصر الجمهوري ومجلس الشعب تردد خلالها اسم الدكتور فتحي سعد، وتساءل المتظاهرون عن سر قيام محافظ الجيزة ورئيس مجلس إدارة شركة "كوهية" للدواجن ببيع إنتاج شركته قبل الإعلان الرسمي عن ظهور المرض بـ ٢٤ ساعة!.. ويا خفي الألطاف نجنا مما نخاف.

كلمة أخيرة:

قال الشاعر أبو القاسم الشابي: إذا الشعب يوما أراد الحياة، فلا بد أن يستجيب القدر، وقال الريس بيرة: سلامتها أم حسن... وأنا أميل للرأي الثاني.

الإبداع وفن الممكن

كنا نجلس مجموعة من الأصدقاء نتحدث في الشأن العام عندما صاح أحد الحضور: هل طالعتم الحوار الذي أجراه إبراهيم عيسي مع الأستاذ هيكل ونشره في العدد الماضي من الدستور، فأجاب الحاضرون بأنهم قرأوه، وأنه يتسم بالجرأة كعهدهم بالصحفي والصحيفة.. فعلقت بأن أشد ما لفت انتباهي كان العنوان والطريقة التي كتب بها، فقد كان كالتالي:

الأستاذ هيكل وجمال مبارك.. لقد كُتب اسم الأستاذ هيكل ببنط ضخم للغاية، علي العكس من بقية العنوان المكتوب ببنط صغير بما يعكس وجهة نظر الصحيفة حول الموضوع حتي قبل قراءته، لكن ما أثار دهشتي أن أغلب الحاضرين أجاب بأنه "لم يأخذ باله" من هذه الملاحظة!. إذن فقد قرأوا الموضوع، ولم يصل إليهم جانب إبداعي

متميز في تقديمه!. كانت جلستنا عادية وليس بها ما يسوء، وبالرغم من ذلك فقد ضبطت نفسي واجما وشاعرا بشيء من خيبة الأمل، واستيقظ في داخلي أمر كذّبت نفسي بشأنه طويلاً، وهو أن جانباً كبيراً مما يجهد الكُتاب والصحفيين والمبدعين عموماً أنفسهم في تقديمه.. لا يشعر به أحد تقريباً، وهذا في رأيي مأساة المبدعين في مصر، ويمكن ملاحظة الأمر في كل أوجه العمل المتصل بالكلمة المقروءة صحافة أو أدباً وكذلك الفنون كالسينما والمسرح والموسيقي.

إن الكاتب أو المبدع يجهد نفسه في البحث عن التميز والجدة والطرافة والعمق، وفي النهاية لا يصل ما ينتجه إلا إلي حفنة قليلة من المتلقين وهم في الغالب مثله من المشتغلين بالكتابة أو من القراء الأكثر وعياً وثقافة من معظم الكتاب. وتحضرني خبرات وتجارب أكدت لي علي مدي العمر أن عدداً قليلا لا يتجاوز عدده في أحسن الأحوال ثلاثة آلاف من المصريين هم المستهلكون للقصة والرواية والفيلم الجاد وديوان الشعر، وهؤلاء يمكن أن تشاهدهم في

عروض أفلام محمد خان، وتشاهد معظمهم في مظاهرات حركة كفاية، كذلك يمكن أن تلتقي بهم في حفلة لعلي الحجار أو أمسية شعرية لنجم أو سيد حجاب، وهؤلاء أنفسهم هم من يحسنون قراءة الجرائد، والتمييز ما بين ممتاز القط وعبدالقادر القط، وهم الذين يؤجلون إعلان وفاة مصر ثقافياً وفنياً وسياسياً.

مثل هذه الحقيقة هي التي دعت المخرج داوود عبد السيد، عندما أقدم علي إخراج رواية "مالك الحزين" لإبراهيم أصلان، إلي تغيير الاسم إلي «الكيت كات» وذلك حتي يوهم جمهور السينما بأنه يقدم فيلماً مسفاً علي طريقة أفلام "الدرب الأحمر" و" الباطنية " و"فتوات الحسينية"، وبالتأكيد هذه الحقيقة هي التي تمنع سينمائيين مبدعين من تقديم كل ما لديهم، ويطوون أدراجهم وجوانحهم علي أعمال بديعة كتبوها ويكتفون فقط بتقديم ما هو في الإمكان، ويبدو أن السينما قد أصبحت هي الأخري مثل السياسة.. فن الممكن!.

قد يقول قائل وله الحق: إن علي المبدع أن يقترب من الناس ويقدم لهم ما يتفاعلون معه بسهولة وبدون تقعر.. صحيح، ولكن المشكلة أن هناك من يفعل ذلك ولا يجد هذا الجمهور!. إن المشكلة الحقيقية هي تدني مستوي المتلقي علي نحو مروع، مما يجعل أي جهد إبداعي حرثاً في الماء، وأنا هنا لا أتحدث عن قراءة لوحة في معرض فنون تشكيلية والتوحد مع مفرداتها أو الاستماع إلي عزف سيمفوني، فهذه الأشياء بطبيعتها قليلة الجمهور وتقتضي رقياً عقلياً ونفسياً، ولا أتحدث عن قراءة الكتب التي لا تصدر في أكثر من ثلاثة آلاف نسخة، نفس عدد الجمهور الذي تحدثت عنه، كما أني لا أتحدث عن أفلام يوسف شاهين التي يختلط الإبداع فيها بالهلوسة، ولا حتي أفلامه في البدايات مثل باب الحديد الذي يتصوره "جو" كنزاً سينمائياً، في حين استقبله الجمهور عند عرضه باعتباره فيلماً للشجيع فريد شوقي، دون أن يلحظوا وجود يوسف شاهين بالفيلم، وقد عدّوه امتداداً لأفلام «سواق نص الليل» و«رصيف نمرة خمسة» وإن كان أقل جودة لعدم وجود

ضرب! كل هذا لا أتحدث عنه.. وإنما أتحدث عن أضعف الإيمان وهو قراءة الصحف والتمييز فيما بينها. لقد كنت أتحدث مع أحد معارفي عن صحيفة «المصري اليوم» وكيف يعجبني إخراجها الفني وابتعادها عن الكذب والإثارة، فقال لي: نعم هي تعجبني جداً، ولكن "فكرني هي بتطلع يوم إيه؟!" في الوقت الذي لا يفوته عدد من جريدة الجمهورية ويقبل علي قراءة مقالات سمير رجب بانتظام.. صحيح لا يتفق معه في الكثير، لكنه يقرأ له بمنتهي الجدية و يراسله أحيانا!.

إنني أتصور أن مستقبل هذا البلد يتوقف علي رفع هذه النسبة المتدنية من المتلقين الفاهمين، فهذا هو السبيل لأي تغيير سياسي أو اجتماعي نحلم به، لقد ساهم اختراع البريد الإلكتروني في حدوث تواصل بين الكاتب والقارئ علي نحو لم يحدث من قبل، وبالرغم من ذلك فإن كثيراً من الرسائل تضع المرء في حيرة شديدة، حينما يكتشف أن ما كتبه قد تم فهمه علي نحو مختلف عن المقصود، وأن ما تصوره أفكاراً واضحة لم يكن في الواقع كذلك ولا يفيد

الامتداح بعد ذلك في شيء، ولا يغير من الدهشة والحيرة التي تنتاب المرء حين يكتشف أنه يضرب بفأسه في أرض صخرية، ويكتشف هول الجناية التي جناها من حطموا شعب مصر وأفقدوه الإحساس بالأشياء الجميلة، وجعلوه يتوهم القبح جمالا والجهل نوراً والبلادة حكمة.

كلمة أخيرة:

أنا لا أكره الموظف الصغير المرتشي (قلبي لا يحتمل كراهية أربعة ملايين مواطن)، لكنني أمقت الموظف الذي يرفض الرشوة، في الوقت الذي يتلذذ فيه بتعطيل مصالح العباد المشروعة، ويتوهم نفسه في عداد الشرفاء.

محاولة إغواء شهبندر بحيرة فيكتوريا!

أعتقد أنه سيأتي حين من الدهر يقرأ الناس فيه في كتب التاريخ عن حياة المصريين قبل الشيخ صالح كامل صاحب راديو وتليفزيون العرب، وحياتهم بعد ظهوره، ذلك أن ملامح الحياة قبل أن يطل علينا تختلف عنها بعد أن صار جزءا من حياتنا اليومية، والشيخ صالح ليس بالتأكيد صاحب المرحلة ولا هو واضع سياساتها، لكنه الواجهة التي نراها بصرف النظر عن الجهات التي يمثلها.

زمان أيام الطفولة في فترة الستينيات كنا نلعب الكرة الشراب في «الدوران» المجاور لمنزلنا بحي الظاهر، وكان عسكري الدورية يكمن لنا خلف شجرة، ثم ينقض علي الكرة ويمسك بها ويجلس علي الرصيف ممسكا بخرزانة في يده.. في هذا الوقت نكون قد عقدنا اجتماعا سريعا وقمنا بجمع مبلغ خمسة تعريفة ثمن سيجارتين كليوباترا، ثم نوكل إلي

أضخمنا جسما مهمة الذهاب إلي الشاويش ومنحه قيمة الفدية حتي يطلق سراح الكرة ويختفي عن أعيننا لمدة ساعتين ويتركنا نلعب.

ثم يأتي العام ٧٢ ويلتحق بخدمة الشرطة نوعية جديدة من الشباب اسمهم أمناء الشرطة يحلون محل العسكري التقليدي..ومع أول صدام لنا مع رجل البوليس الجديد نشعر أننا بإزاء مرحلة مختلفة تماما عما سبقها..فبعد أن يخطف الأمين الكرة من بين أرجلنا، يمضي في هدوء ويسحب كرسيا من عند الحلاق ويجلس واضعا ساقا فوق ساق في انتظار التفاوض، ونكون في هذه الأثناء قد أكملنا جمع التعريفات الخمس، ولكن عند مرحلة التسليم والتسلم نفاجأ بأن السيد الأمين لا يقبل بأقل من ربع جنيه بالتمام والكمال مقابل الإفراج عن الكرة والسماح لنا باللعب في الشارع!.

لهذا فقد وقر في أذهاننا أن الفارق الملموس بين عسكري الدرك القديم وبين أمين الشرطة أن النظام الحديث

مكلف جدا، وأن أعباءه تفوق قدرة تلاميذ يلعبون الكرة بالبيجامات ونصفهم حفاة!..الأمر الذي أرغمنا جميعا علي الاعتزال المبكر ولم يبلغ أكبرنا سنا ١٣ عاما.

أعتقد أن ما فعله بنا أمين الشرطة الجشع هو نفس ما نقاسيه من قناة إيه.آر. تي التي حرمت أبناء مصر من مشاهدة المونديال، مع أن هذه المباريات ليست ملكا لأحد حتي يبيعها لأحد..إن جوزيف بلاتر لا يملك الحق في بيع نقل المباريات، فهو رئيس الاتحاد الدولي لكرة القدم وهي منظمة لا تهدف للربح Non profit organization فكيف تم إغواؤه وجعله يبيع ما لا يملك لمن لا يستحق؟.

لقد كانت حياة المصريين أقل قسوة قبل عصر صالح كامل، وكان بإمكانهم رغم الفقر أن يحظوا بقليل من المتعة المجانية في مشاهدة المباريات، وأنا لا أعتقد أبدا أن الرغبة في الربح هي الدافع الي اختطاف مباريات كرة القدم واحتكارها، إذ إن بيع حقوق إذاعة المباريات للمحطات الأرضية كان كفيلا بتحقيق ربح كبير، وهو الأمر الذي

رفضه الملياردير السعودي..الهدف الحقيقي هو الهيمنة والسيطرة وإذلال الناس وزيادة المرارة في حلوقهم. وأستطيع أن أقول إن الفقراء ليسوا وحدهم الذين تأذوا من احتكار المباريات بواسطة الإيه آر تي.. إن المصريين علي اختلاف طبقاتهم غير سعداء لأن أحدا مهما كانت قدرته المالية لا يسعد عندما تبيع له الهواء!

و لقد تعجبت حين شاهدت الشيخ كامل في برنامج «في الممنوع» والأستاذ مجدي مهنا يسأله عن أخبار سمعها تتعلق برغبته في شراء الدوري المصري واحتكار إذاعته، فإذا بعم الشيخ صالح يؤكد هذه الأخبار.

لقد أصابتني هذه الحلقة بصدمة عندما اتهم صالح كامل عشرة ملايين مصري بأنهم حرامية مستندا إلي فتاوي رجال الدين الأرزقية الذين يعملون عنده.

لقد كنا منذ وعينا علي الدنيا نشاهد المباريات بالمجان ولكن منذ عرفنا صالح كامل تغير الأمر وأصبح «يجلب» لنا المباريات بفلوس، وكنا نشاهد الأفلام المصرية

بالمجان وبعد أن عرفناه صرنا ندفع لمشاهدة أفلامنا التي «جلبها» لنا! فهل الخطوة القادمة هي احتكار ماء النيل والتعاقد مع شهبندر بحيرة فيكتوريا حيث ينبع النهر، ثم تشفيره وبيعه للمصريين بفلوس في عملية «جلب» جديدة مملوءة بالبركة والرزق؟!.

التجربة التي تذيب الجلاميد

لقد آلمني أشد الألم ما حدث مع التلميذة آلاء مما تناولته الصحف طوال الأسبوع الماضي. وسبب الألم أن الأمر مثّل عندي ارتفاعا كبيرا في منحني كنت أظنه يرتفع بسرعة أقل، ذلك هو منحني الإحساس بالجوع أو الرعب منه.

هل يظن أحد أن المدرس الذي كانت ورقة آلاء من نصيبه هو رجل يشعر بالأمان ويطمئن إلي أن ثلاجته بالمنزل ستظل ملأي بالأطعمة التي تكفيه وتكفي أسرته ما دام يؤدي عمله باحترام في وطن طبيعي يحفظ للبشر إنسانيتهم ؟ هذا الرجل بالتأكيد تسكنه المخاوف وينهشه الشك في أن هذا الوطن يحفظ للناس حقوقا أو لقمة عيش كريمة، ولا أعتقد بحق أن ما كتبته التلميذة آلاء في موضوع التعبير قد أزعجه أو ساءه فعلا ..فهو لا شك في داخله يتفق

مع البنت في عدوانية سلوك الرئيس الأمريكي الذي قتل مئات آلاف الأطفال العراقيين، وبالتأكيد يتفق معها في أن التعمير لا يمكن أن يتحقق علي يد حكومة تمضي بهمة نحو تخريب ما هو قائم و لا يخطر ببالها أي تعمير!. فما الذي دفعه إذاً بدلا من أن يمنحها الدرجة التي تستحقها طبقا لسوء تعبيرها عن أفكارها أو جودته «وليس فحوي هذه الأفكار»، فيقوم سيادته بالجري نحو رئيس الكنترول يزف إليه خبر العثور علي جريمة في ورقة الأسئلة؟..السبب في تقديري أن الجوع يضغط علي أحشائه بشدة فيفقده صوابه، في وقت يعلم فيه أن التجويد في المهنة وتحصيل مزيد من العلم والقيام بالتدريس بضمير يقظ لن تحمل إلي صحونه أي طعام إضافي، بالعكس.. قد تقلص ما يحصل عليه بالفعل وهو قليل بطبعه، لأن زملاءه ورؤساءه لن يسمحوا له بأن يحرجهم بأي أداء متميز أو حتي عادي!. ولا شك أن الرجل يلاحظ كما نلاحظ جميعا أن تناسبا طرديا يحدث في المجتمع بين «العدوانية» التي تحدثت عنها آلاء وبين ارتقاء المناصب واعتلاء الكراسي الجالبة للطعام الفاخر، ويري كما

نري أن الوشاة قد أصبحت لهم اليد الطولي في هذا الوطن، وأن الوشاية صارت هي الباب الملكي لعبور خط الفقر وولوج دنيا الأطايب. وربما لهذا فقد تصور المسكين أنه بوشايته قد يشق طريقه لفوق ويرضي الأسياد الذين لا يرضيهم الطيب من الأعمال، فقرر أن يدمر مستقبل الطفلة العنيدة التي لم تتأثر بتدريسه هو وزملائه ولم تتعلم منهم الخور والوهن وحب قاتلينا.

إن قصة آلاء مع مدرسيها هي قصة الموظف العمومي في بر مصر مع الجوع والحرمان، وهي نتيجة طبيعية لسياسة تجويع الموظفين من أجل اغتيال ضمائرهم. لقد حذر أساتذة فضلاء كثيرون من خطورة تجويع الموظف العمومي وسحب ثوب الستر من فوق جسمه، وبينوا أن المسألة هي مسألة حياة أو موت وقضية أمن قومي، وها نحن نري ما حل بالوطن الذي أصبح خرابة نتيجة أن الموظف العمومي يتقاضي راتبا رمزيا لا يكفيه. إن أي بلد يحكمه أناس راشدون يدرك بالتأكيد كارثة أن يجوع المهندس أو رجل الشرطة أو المدرس أو القاضي، ويدرك

أن الموظف الذي يمتلك ختم النسر لا يصح أن نتركه في مسغبة وجوع لأنه ببساطة سيبيع الختم لمن يدفع وعندئذ تنهدم العمارات فوق ساكنيها ويتم الاعتداء علي الحقوق و نهب أموال الناس و موت المرضي المستحقين للعلاج وتلوث الغذاء واحتراق القطارات وغرق العبّارات.. ولو كان الموظفون الذين قاموا بالكشف علي مراكب ممدوح إسماعيل «الخردة» لا يشعرون بالجوع لما وقعوا له الأوراق التي سمحت بإغراق المصريين في البحر في أكثر من كارثة بحرية، ثم الإفلات من العقوبة لأن الأوراق سليمة!. وغير بعيد عن هذا الحديث المؤامرة التي يتم حبكها ضد الصحفي إبراهيم عيسي في أمر لا يخصه ولا شأن له به.. ولكنه الجوع اللعين ـ قاتله الله ـ الذي يدفع بموظف يفترض أن يكون محترما إلي إرسال رسائل غزل إلي الأسياد يقول لهم فيها: نحن في الخدمة ونأمل في مزيد من التعاون في المستقبل.

إن مستقبل هذا البلد وخططه التنموية وإمكانية نهضته كلها مرهونة بحماية الموظف العمومي من الجوع

والإهانة حتي لا يسرح علي الخريطة، ينشر الخراب والدمار والعفن كما يحدث الآن، بحيث تحولت مصر علي أيدي موظفيها الجوعي إلي خرابة تحيا فينا وليست فقط خرابة نحيا فيها!.

كلمة أخيرة:

بين أن تحس الجوع بأمعائك وخمسين كتابا عن القمح.. مسافة من التجربة التي تذيب الجلاميد «الشاعر عقيل عبد الله».

عن النفسنة.. أتحدث

كنت أجلس مع أحد الأصدقاء نتجاذب أطراف الحديث، عندما قال لي: كنا بالأمس في سيرتك. قلت له: خير.

قال: مررت بجمع من الكتاب والصحفيين كانوا يجلسون بالقهوة الشهيرة بوسط البلد، فسحبت كرسياً وجلست معهم، ووجدت الحوار محتدماً فيما بينهم، وبالمصادفة كنت أنت محور الحديث.

قلت مستغرباً: من كانوا؟ قال: فلان وفلان.. وأخذ يعدد أسماءهم. قلت له: جميل والله..كلهم أسماء معروفة، وإن كنت لم أتشرف بمعرفة معظمهم شخصيا.. لكن فيم كان احتدام الحديث؟ قال: كان الكاتب الصحفي المشهور فلان يمسك بصحيفة «المصري اليوم» ويقرأ لهم مقالاً لك عنوانه: «أزمة مرحلة عم الحاج» كان يقرأ وهو يرفس في

الأرض من فرط الانبساط، ويطلق ضحكات عالية أثارت دهشة الموائد المجاورة، ومن الواضح أن إعجابه بمقالك كان فائقاً، ويبدو أن موضوع المقال قد مس عنده وتراً.. المهم أن جانباً من الحوار بعد ذلك كان حولك وحول كتاباتك، والحقيقة أن جانباً منهم مدح، وعلي رأسهم هذا الصحفي، وجانباً آخر قدح. قلت له: ومن الذي يستطيع يا صديقي أن يرضي كل الناس؟.

بعد مضي أسبوع علي هذا الحديث كنت مدعواً في مناسبة اجتماعية لدي صديق، وهناك قابلت الصحفي المعروف الذي شرّفني بقراءة مقالي علي الملأ وهو يجلس بالمقهي وسط أصدقائه.

وللأمانة وجدت نفسي أشعر نحوه بامتنان، رغم كونه كاتباً محدود القيمة، وقلت لنفسي إن خلقه الرفيع يمكن أن يكون جسراً للمودة فيما بيننا، عوضاً عن كتاباته الضعيفة.

تقدمت منه لأسلم عليه وتولي أحد الأصدقاء تقديمنا لبعض فقال مشيراً إليه: الأستاذ فلان، فرددت بسرعة:طبعاً.. غني عن التعريف ثم صافحته بحرارة، وأكمل صديقنا التقديم فأشار إلي ونطق باسمي فوجدت الصحفي المعروف تلمع عيناه لثانية واحدة، ثم تنطفئان بسرعة وهو يغمغم بعبارة ترحيب باردة.

قال له الصديق المشترك وقد أدهشته «جليطة» الرجل: ألا تعرف فلانا (يقصدني أنا).. إنه يكتب بانتظام في الصحافة، فنظر إلي بتفحص وسألني: أين تكتب؟ فقلت له وأنا غير مصدق: بصحيفة كذا. فمال علي أحد المقاعد وجلس منجعصاً بشدة حتي حاذت مؤخرته ذراع المقعد، وأخذ صوته يخنفّ وهو يسألني: يعني فيم تكتب بالضبط؟. قلت وأنا أنظر في عينيه: أكتب في ركن المرأة والطفل، فلاحظت أنه ارتبك ولم يدر ما يقول، فأكملت: وأنوي في الفترة القادمة أن أتخصص في المطبخ، وأكتب عن المحاشي وبالذات ورق العنب.. ثم أعطيته ظهري وابتعدت.

عندما خلوت إلي نفسي بعد ذلك ثارت في داخلي تساؤلات عديدة حول النفس البشرية وعجائبها، وذكرت قول الله «ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها» وأذهلني سلوك هذا الرجل الذي كان علي طبيعته مع أصدقائه بالمقهي، وسمح لنفسه أن يبدي إعجاباً بكاتب معين، ثم عندما التقي بذات الشخص بعد أيام أنكر أنه يعرفه أو سبق أن قرأ له أو حتي سمع باسمه.

أنا لا أقصد من هذا الحكي أن أمنح نفسي أهمية، ولست نجماً حتي أفترض أن يعرفني الناس، ولا أفترض فيمن يقرأ لي أن يكون رأيه عني إيجابياً. من حق قارئي أن يسخط علي وأن يمقتني حتي. لكن هذا الشخص بالذات ليس فقط يعرفني، وإنما يعرفني جيداً، ولا يخفي أمام أصدقائه موقفه الطيب مما أكتب. فلماذا تظاهر بأنه يسمع بي للمرة الأولي؟ وما الفائدة التي جناها عندما ارتدي قناع اللورد كرومر، وتظاهر بأنه لا يقرأ للنكرات من أمثالي؟ هل تراه انتشي وانشكحت نفسه من الداخل وهو يحاول أن يواري

إحساسه الدفين بالضآلة وعدم الاستحقاق؟ إنني أتمني من كل قلبي أن أكون قد أسهمت في علاجه!

علي النقيض من هذا الموقف المريض، كانت المفاجأة التي صادفتها بصحيفة «الدستور» يوم الخميس ١٤ فبراير الماضي، عندما قامت الصحيفة باستطلاع رأي مائة شخصية عامة من الأدباء والكتاب وأهل الرأي عمن يحبون، ويكون قد ترك أثراً لديهم.. فوجئت بالكاتبة العظيمة ذات الموهبة والاستقامة الفكرية والنفسية الأستاذة صافي ناز كاظم تجيب: فلان.. مؤلف كتاب «مصر ليست أمي..دي مرات أبويا»..

وذلك علي الرغم من أنها لا تعرفني وأنا لا أعرفها إلا بحسباني قارئا لإبداعها الراقي. حتي إن الصديق الكاتب بلال فضل عندما سألني: هل قرأت ما كتبته عنك صافي ناز كاظم؟ قلت له: والله يا بلال أنا في غاية الخجل من نفحة الكرم التي قدمتها لي كاتبة مبدعة لا تعرفني، ورغم هذا تحدثت عني بهذه المودة بعد أن قرأت كتابي، فكان رد بلال

الجميل: هي دي عظمة صافي ناز الحقيقية..الصدق والنفس المحبة للبشر.

إنني وعلي الرغم من نفوري الفطري من الكذابين، الذين يبدلون عدة أقنعة في اليوم الواحد، فإنني أملك القدرة علي تفهم أسباب أن يكذب الذين يجاهدون من أجل البقاء علي قيد الحياة.. لكنني لا أتعاطف أبداً مع الذين يفعلون هذا بدون داع عندما يستدعون مخزون العدوانية ويشهرون ـ بشكل استباقي ـ أسلحتهم في وجه رجل لا يحمل سلاحاً لمجرد تصورهم (الواهم) أن وجوده قد يكشف تهافتهم ووكستهم وخيبتهم.. رغم أنه ـ والله ـ غير مشغول بهم أبداً.